المضامين التربوية لقصص الجبابرة في القرآن الكريم

إعداد الطالبة

سماهر عوض محمد الزينات

إشراف

د. محمد أمين بني عامر

د. ماجد زكي الجلاد

حقل التخصص – التربية في الإسلام

١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

المضامين التربوية لقصص الجبابرة في القرآن الكريم

إعداد الطالبة

سماهر عوض محمد الزينات

بكالوريوس أصول الدين، جامعة اليرموك ١٩٩٨م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص التربية في الإسلام في جامعة اليرموك، اربد – الأردن

وافق عليها

محمد أمين بني عامر ---------- المشرف الشرعي

أستاذ مشارك في الدعوة والإرشاد، جامعة اليرموك

ماجد زكي الجلاد ---------- المشرف التربوي

أستاذ مشارك في مناهج التربية الإسلامية، جامعة اليرموك

محمد علي حجازي ---------- عضو لجنة الإشراف

الأستاذ الدكتور في التفسير، جامعة اليرموك

محمد السيد جبريل ---------- المناقش الشرعي

الأستاذ الدكتور في التفسير، جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى

روح والدي الطيبة...

أمي العزيزة...

زوجي العزيز... ابنتي وداد

كل من قام بمساعدتي في إنجاز هذا العمل

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، على نعمته وتوفيقه لي في طلب العلم، وتشريفه لي وعونه في اختيار موضوع الرسالة والكتابة فيه، أحمده حمد الشاكرين، وبعد...

فإن أهل الفضل والعطاء هم أهلٌ للشكر والثناء، اقف أمام ما قدموه لي من عون وكلي شكر ووفاء، لما آثروني به من أوقاتهم وجهودهم ودعائهم، أخص بالذكر منهم، الدكتور الفاضل محمد أمين بني عامر والدكتور الفاضل ماجد زكي الجلاد والأستاذ الدكتور محمد علي حجازي عضو لجنة الإشراف لتكرمهم بقبول الإشراف على هذه الرسالة، واشكر الأستاذ الدكتور محمد سيد جبريل لقبوله مناقشة الرسالة.

ولا أنسى في هذا المقام أن أشكر كل من كان له يد العون في إخراج هذه الرسالة، فجزى الله الجميع عني خير الجزاء.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الإهداء ---------- ج

شكر وتقدير ---------- د

فهرس المحتويات ---------- هـ

ملخص الرسالة ---------- و

المقدمة ---------- ١

التمهيد: مفهوم الجبابرة ---------- ٧

المبحث الأول: مفهوم لفظ الجبابرة ---------- ٨

المطلب الأول: الجبابرة في اللغة---------- ٨

المطلب الثاني: الجبابرة في الشرع---------- ١٠

المبحث الثاني: الألفاظ ذات الصلة بالتجبر ---------- ١٣

الفصل الأول: موقف الجبابرة من الأنبياء عليهم السلام ---------- ٢٤

المبحث الأول: العوامل التي أدت إلى وجود الجبابرة---------- ٢٦

المبحث الثاني: الشخصيات المتجبرة في القرآن الكريم ---------- ٤٩

المبحث الثالث: أساليب الجبابرة ووسائلهم---------- ٧٩

الفصل الثاني: موقف القرآن من الجبابرة---------- ٩٦

المبحث الأول: مصير الجبابرة كما ورد في القرآن الكريم---------- ٩٨

المبحث الثاني: الأساليب التي أتبعها الأنبياء والرسل في دعواتهم في الردّ على الجبابرة ---------- ١٣٦

الفصل الثالث: الدلالات التربوية لقصص الجبابرة في القرآن الكريم----- ١٥٩

الخاتمة ---------- ١٩١

الاستنتاجات---------- ١٩٢

التوصيات---------- ١٩٤

قائمة المصادر والمراجع ---------- ١٩٥

الملخص باللغة الإنجليزية---------- ٢٠٥

الملخص

المضامين التربوية لقصص الجبابرة في القرآن الكريم

إعداد الطالبة

سماهر عوض محمد الذينات

رسالة ماجستير

جامعة اليرموك

٢٠٠٣

إشراف

د. محمد أمين حسن بني عامر ---------- المشرف الشرعي

د. ماجد زكي الجلاد ---------- المشرف التربوي

أ.د. محمد حجازي ---------- عضو لجنة الإشراف

هدفت هذه الدراسة إلى بيان لفظ الجبابرة والتعرف على شخصياتهم وموقفهم من دعوات الأنبياء -عليهم السلام-. إضافة إلى الدلالات التربوية والدرس والعبر المستفادة من قصص الجبابرة، ولتحقيق هذه الأهداف أجابت الدراسة على الأسئلة التالية:

- ما مفهوم لفظ الجبابرة في اللغة والشرع؟
- ما موقف الجبابرة من دعوات الأنبياء -عليهم السلام-؟
- ما موقف القرآن الكريم من الجبابرة؟
- ما الدلالات التربوية لقصص الجبابرة في القرآن الكريم؟

واتبعت لتحقيق تلك الأهداف المنهج الوصفي التحليلي من خلال جمع الآيات المتعلقة بموضوع قصص الجبابرة في القرآن الكريم، ثم تبويب الآيات بتحديد كل موضوع وما يناسبة من الآيات التي تثريه وتدعمه وتزيد من قيمته العلمية، ومن ثم تحليل هذه الآيات تربوياً باستنباط الدلالات التربوية والدروس والعبر المستفادة منها.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى الاستنتاجات التالية:

أولا: أن مصطلح الجبابرة ورد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، أما كتب التربية الإسلامية فلم تتعرض للفظ الجبابرة واستخدمت ألفاظ مرادفة لها كالظلم والطغيان...، ومن خلال استقراء كتب التفسير تبين أن الجبابرة لفظ يراد به التكبر عن عبادة الله، والتعظم وعدم التواضع لأمر الله تعالى. ويأتي بمعنى القهر والتمرد والبطش في الضرب والقتل.

ثانيا: أن شخصيات الجبابرة في القرآن الكريم متعددة ومتنوعة وكل شخصية اتخذت شكلا للتجبر. كالتجبر بسبب الملك ومنهم بسبب المنصب والوظيفة ومنهم بسبب المال والغنى وآخر بسبب العلم، فكانت هذه أشكال لشخصيات متجبرة.

ثالثا: أن للتجبر أساليب ووسائل متنوعة اتخذها الجبابرة لتحقيق أهدافهم وأغراضهم للوقوف ضد دعوات الأنبياء -عليهم السلام-.

رابعا: أن الأنبياء -عليهم السلام- اتبعوا أساليب علاجية ووقائية للرد على الجبابرة كالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة التي هي احسن، والقصة... الخ.

خامسا: أن لقصص الجبابرة في القرآن الكريم دلالات تربوية ودروس وعبر مستفادة منها تنعكس على المجتمع إيجابيا.

وبناء على هذه الاستنتاجات فإن الباحثة توصي بما يلي:

- تناول كل شخصية من شخصيات الجبابرة والتوسع في البحث فيها لإظهار كل شخصية بصورة أوضح.
- إجراء دراسة مقارنة بين جبابرة الماضي في زمن الأنبياء -عليهم السلام- وبين جبابرة واقعنا الحاضر.
- إعداد دعاة أقوياء في الدعوة الإسلامية وحثهم على مواجهة أساليب الجبابرة والطغاة وتشجيع الدعاة على مقاومتهم بالأساليب الدينية التربوية العلاجية.

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن القرآن بين موقف الجبابرة من دعوات الأنبياء -صلى الله عليهم وسلم- وكيف كان ردّ الأنبياء عليهم. واعتبرهم عوامل هدم وفساد في المجتمع الإنساني. وبالتالي يصبح هذا المجتمع في تشتت واضطراب وتمزق. وإذا أردنا التخلص منهم فلا بدّ من الرجوع إلى الإسلام العظيم لإعادة تربية الإنسان تربية إيمانية شاملة متزنة والتمكن من الوقوف في وجههم ومقاومة أساليبهم ووسائلهم والعمل على إزالتهم من المجتمع ليبقى نظيفاً خالٍ من الثغرات.

ولنا في ذلك القدوة سيد المرسلين عندما أمر بتبليغ الرسالة ونشر الإسلام وإذا برؤوس الجبابرة تطل وتعمل بأقصى جهدها متبعة أساليب ووسائل متنوعة للقضاء على الإسلام، ولكن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأتباعه تثبتوا بالإيمان واستمدوا الثقة من الله تعالى واستطاعوا مواجهة هؤلاء الجبابرة وتمكنوا من نشر الإسلام حتى أصبح راية ترفرف في العُلا.

وقبل سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- بعث الله تعالى الكثير من الأنبياء والرسل وكل منهم واجه من الظلم والقسوة كما واجه سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم، ففرعون كان رأس الجبابرة في زمن سيدنا موسى -صلى الله عليه وسلم-، والنمرود في زمن سيدنا إبراهيم -صلى الله عليه وسلم-، وعاقر الناقة في زمن سيدنا صالح -صلى الله عيه وسلم-، وقوم هود وقوم لوط... فالجبابرة في كل زمان ومكان ماضٍ يتجدد وآثاره لا تنتهي. ولتحقيق الأمن الطمأنينة في المجتمع لا بدّ من مواجهتهم ومقاومتهم لتحقيق السلام في المجتمع.

وقصص الجبابرة الواردة في القرآن الكريم تدل على شخصياتهم وأهدافهم وأساليبهم وتدل على كيفية الرد عليهم، وان لهذه القصص آثاراً ودلالات تربوية ودروساً وعبراً تربي النفس الإنسانية على قبول الحق بثقة وعدم التكبر والتجبر.

أهمية الدراسة

تظهر أهمية هذه الدراسة من خلال التعرف والكشف عن معنى لفظ التجبر الوارد في الآيات القرآنية الحكيمة التي وضحت هذا المفهوم، وتركز هذه الدراسة على التعرف على بعض الألفاظ التي تحمل في طياتها مفهوم الجبروت كالظلم، والطغيان...، والتأكيد على ضرورة أن يسود الأمن والطمأنينة في المجتمع من خلال التخلص من آفة الجبروت والطغيان لدى الأفراد والجماعات، والكشف عن دواعي التجبر ومسبباته وعن عواقبه الوخيمة على أصحابه وما ينتظرهم من مصير، والتعرف إلى والدلالات التربوية المستفادة من قصص الجبابرة.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

على الرغم من وجود الكثير من التفاسير وبعض المؤلفات التي تحدثت عن الطغاة والظلمة والمتكبرين إلا أن بعضها لم تتحدث عن المضامين التربوية لقصص الجبابرة في القرآن الكريم لذا فإن هذه المشكلة دعتني للكتابة في هذا الموضوع لتوضيح لفظ الجبابرة، وموقفهم من القرآن، وموقف القرآن منهم. وبيان الدلالات التربوية لقصص الجبابرة، ولتحقيق هذه الأهداف لا بد من الإجابة عن الأسئلة التالية:

١-ما معنى لفظ الجبابرة في اللغة والشرع؟

٢- ما موقف الجبابرة من دعوات الأنبياء -صلى الله عليهم وسلم-؟

٣- ما موقف القرآن الكريم من الجبابرة؟

٤- ما الدلالات التربوية لقصص الجبابرة في القرآن الكريم؟

محددات الدراسة

تقتصر هذه الدراسة على بيان قصص الجبابرة في القرآن الكريم من خلال التعرف على شخصياتهم والأساليب التي اتبعوها والعوامل التي ساعدت على تجبرهم، إضافة إلى بيان موقف القرآن منهم من خلال التعرف على مصير الجبابرة والتعرف على الأساليب النبوية التربوية في الردّ عليهم. ثم قامت الباحثة بدراسة الدلالات التربوية لقصص الجبابرة في القرآن الكريم، مستعينة بكتب التفسير على سبيل المثال "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" لابن جرير الطبري و "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير و "في ظلال القرآن" لسيد قطب... وغيرها بالإضافة إلى بعض الكتب والمراجع التي ساعدت في إثراء هذا البحث.

منهج الدراسة

لتحقيق أهداف الدراسة قمت بدراسة القرآن الكريم دراسة متفحصة، دراسة وصفية تحليلية من خلال جمع الآيات المتعلقة بموضوع قصص الجبابرة. ثم قمت بتبويب هذه الآيات لتحديد كل موضوع وما يناسبة من الآيات التي تزيد من قيمته العلمية، وفي النهاية قمت بتحليل هذه الآيات تحليلاً دينياً وتربوياً باستنباط الدلالات التربوية والدروس والعبر المستفادة منها، مستعينة بكتب التفسير والمؤلفات والمراجع.

الدراسات السابقة

لم تستطع الباحثة العثور على بعض الدراسات في موضوع دراستي، أو أي دراسة مستوفيه للموضوع، لكن وجدت الباحثة أن هناك بعض الدراسات التي يمكن الاستفادة منها وهي:

١. دراسة أعدتها الباحثة : نفيسة بنت محمد طاهر، بعنوان (الطغيان في سورة القصص).

حيث قسمت دراستها إلى تمهيد وخمسة فصول وخاتمة وفهارس.

التمهيد: تعرضت فيه لمفهوم الطغيان لغة وشرعاً وذكرت الألفاظ المتعلقة بالطغيان.

الفصل الأول: تحدثت فيه عن سورة القصص من حيث التعريف بها واسمها وسبب نزولها وزمان نزولها ومكانه، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها من السور وتعرضت لقضية الوحدة الموضوعية في السورة.

الفصل الثاني: ذكرت أسباب الطغيان كما تعرضها سورة القصص.

الفصل الثالث: بينت أساليب الطغاة التي اتبعوها لتحقيق أهدافهم.

الفصل الرابع: تحدثت فيه عن موقف القرآن من الطغيان كما جاء في سورة القصص.

الفصل الخامس: قامت بتحليل المصادر والمراجع.

وقد تميزت هذه الدراسة بتعرضها لمواضيع وقضايا شملت موضوع الطغيان فضلاً عن أن دراستها جاءت واضحة محدده بـ(سورة القصص) وقد اتسمت بالتسلسل والترتيب المنطقي الذي تناولت فيه الباحثة موضوعات الدراسة.

ولكن مما يؤخذ على هذه الدراسة أنها خلت من البعد التربوي الإسلامي كما أنها خلت من الطرق العلاجية والوقائية للطغيان.

٢. دراسة أعدها الباحث: جهاد محمد فيصل العبد الله، بعنوان " الظلم في القرآن الكريم دراسة موضوعية".

حيث قسم الباحث دراسته إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة وفهارس .

التمهيد: يتعلق بقضية التفسير الموضوعي.

الفصل الأول: عرف الظلم وبين أسبابه.

الفصل الثاني: بين أنواع الظلم ومظاهره كما جاء في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: ذكر صفات الظالمين وأضرار الظلم.

الفصل الرابع: بين منهج القرآن الكريم في الوقاية من الظلم وعلاجه .

تميزت هذه الدراسة بشمولها قضايا عميقة في موضوع الظلم، كما بينت أساليب الوقاية من الظلم وعلاجه.

ولكن من المآخذ على هذه الدراسة أنها تخلو من البعد التربوي فلم يتعرض الباحث لأثر تربوي واحد، وأنها تدخل في مجال التفسير فقط.

أما المصنفات الحديثة فلم تجد الباحثة كتاباً يتعلق بموضوع الدراسة بصورة مباشرة، أو يحوي جزءاً من الدراسة، ولكن وجدت الباحثة كتابين يمكن الرجوع إليهما والاستفادة منهما وهما:

١. كتاب (الظلم والظالمون) تأليف مجدي فتحي السيد.

٢. كتاب (الظلم وأثره السيء على الفرد والمجتمع) تأليف محمد عبد الله الحكمي.

ومضامين هذين الكتابين مشتركة إلى حد قريب حيث إن كليهما يعتمد على جمع الآيات والأحاديث تحت كل نوع من أنواع الظلم وكانت الطريقة في هذين الكتابين تقوم على أسلوبي الترغيب والترهيب.

بينما هدفت هذه الدراسة إلى استنطاق الآيات القرآنية، وبيان ما فيها من مضامين تربوية يمكن أن تؤثر في تربية النفس البشرية، فضلاً عن بعض إشارات السنة النبوية ولفتاتها، وأكدت الدراسة في ذلك كله على الأبعاد التربوية للموضوعات المطروحة.

ومن الموضوعات الهامة التي تناولتها دراستي هي:

١- الألفاظ ذات الصلة (بالتجبر أو بمفهوم الجبابرة).

٢- أساليب الجبابرة التي اتبعوها ضد الدعوات الإسلامية وردود فعل الأنبياء عليهم.

٣- الدلالات التربوية لقصص الجبابرة في القرآن الكريم.

تمهيد

التعريف بالجبابرة

المبحث الأول :- معنى لفظ الجبابرة

المطلب الأول :- الجبابرة في اللغة

المطلب الثاني: الجبابرة في الشرع

المبحث الثاني :- الألفاظ ذات الصلة بالتجبر

المبحث الأول

مفهوم الجبابرة

المطلب الأول:- الجبابرة في اللغة.

إن لفظة الجبابرة جمع تكسر لجبار وقد جاء في القرآن جمع تصحيح مرتين، قال تعالى ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [1] وقوله تعالى: (وقالوا يا موسى إن فيها قوم جبارين)[2] . ولم يستعمل جمع التكسير، وجبار صيغة مبالغة مأخوذة من الجبر وفعله ثلاثي (جَبَرَ، جَبْرَاً، وجُبُوراً). والجبابرة جمع جبار، ولها عدة معانٍ، منها:-

الجبار: اسم من أسماء الله فهو القاهر خلقه على ما أراد من أمر أو نهي ،قال الزهري: جعل جبار في صفة الله تعالى أو في صفة العباد من الإجبار وهو القهر والإكراه. والجبار من أبنية المبالغة على وزن فعّال. وتجبر الرجل : تكبر . قال اللحياني: المتكبر عن عبادة الله تعالى ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[3] نزلت هذه الآية في سيدنا يحيى عليه السلام. فهو لم يكن مستكبراً عن طاعة ربه وطاعة والدية[4].

والجبار من الملوك : العاتي. وقلب جبار: لا تدخله الرحمة وذو كبر لا يقبل الموعظة ، ورجل جبار : متسلط قاهر .والجبار : القتال في غير الحق [5].

---

[1] سورة الشعراء، الآية (١٣٠).

[2] سورة المائدة ، الآية (٢٢).

[3] سورة مريم، الآية(١٤).

[4] الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، عالم الكتب، بيروت، د. ط. د. ت، ٢٢٩/٤.

[5] ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب، دار صادر، د. ط، د. ت، ١١٥/٤.

قال تعالى :﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [1].هذه الآية نزلت في قوم عاد، فهم قوم قساة غلاظ عتاة متجبرون[2]. وفي معجم اللغة العربية :الجبار :المتكبر المتعالي عن قبول الحق وبمعنى المتسلط وبمعنى القتّال وتأتي لقب للملك العاتي المستبد .وجَبَرَ يَجْبُرُ جَبْراً.أجبر فلاناً على الأمر أكرهه على القيام به[3].

والجبار في صفة الخلق: كل عاتٍ متمرد. والجبار: المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقا فهو جبار من الجبابرة. والجبروت: القهر والكبرياء والعظمة. والجبير: الشديد التجبر[4].

قال الراغب: أصل الجبر إصلاح الشيء بضرب من القهر ويقال جبرته فانجبر وأجتبر وقيل جبرته فجبر. وتجبر يقال إما لتصور معنى الاجتهاد والمبالغة أو لمعنى التكلف ويقد يقال الجبر تارة في الإصلاح المجرد كقول علي: "يا جابر كل كسير ويا مسهل كل عسير" وتارة في القهر المجرد.

والجبر في الحساب إلحاق شيء به إصلاحاً لما يريد إصلاحه. وسمي السلطان جباراً لقهرة الناس على ما يريده أو لإصلاح ما يريده. والإجبار في الأصل حمل الغير على أن يجبر الآخر لكن تعورف في الإكراه المجرد فقيل أجبرته على كذا مقولك اكرته. والجبار من صفة الإنسان لمن يجبر نقيصته بإدعاء منزلة على سبيل التعالي لا يستحقها وهذا لا يقال إلا على سبيل الذم كقوله –عز وجل–: (وخاب كل جبار عنيد)[5]،

---

[1] سورة الشعراء، الأية(١٣٠).

[2] الزحيلي: وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت– لبنان، دمشق– سوريا، ط١، ١٩٩١، ١٩٣/١٩.

[3] عالم المعرفة: أديب اللجمي، والبشر بن سلامه، وشحادة الخوري، وعبد اللطيف عيد، ونبيلة الرزاز، معجم اللغة العربية، تقديم محي الدين جابر، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٥، ٣١٩/٣.

[4] الزبيدي :السيد احمد مرتضى ، تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، د.ط، ١٩٦٠، ٨٥/٣.

[5] سورة إبراهيم، الأية (١٥).

وقوله تعالى: (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) [1]، أي متعال عن قبول الحق والإيمان له يقال للقهر غيره جبار نحو قوله تعالى: (وما أنت عليهم بجبار) [2]. ولتصور القهر بالعلو على الأقران قيل نخلة جبارة وناقة جبارة. وأما في وصفه تعالى: (العزيز الجبار المتكبر) قيل سمي بذلك من قولهم: جبرت الفقير لأنه هو الذي يجبر الناس بفائض نعمه، وقيل لأنه يجبر الناس أي يقهرهم على ما يريده (كالمرض، والموت، وألوان البلاء).

واشتق من لفظ "جبر" العظم الجبيرة الخرقه التي تشد على المجبور، والجبارة للخشبة التي تشد عليها وجمعها جبائر [3].

المطلب الثاني:- الجبابرة في الشرع.

يقوم معنى الجبابرة في الشرع على أساس معناه في اللغة كما هو الأصل، فيراد به التكبر عن عبادة الله تعالى، والقتّال في غير الحق، والتعظم وعدم التواضع لأمر الله تعالى ويأتي بمعنى القهر وإكراه الآخرين، والتمرد والبطش في الضرب والقتل .

ومما يدل على ذلك ما ورد في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [4]. نزلت هذه الآية في رؤساء القوم-عاد- وكبرائهم الطاغيين. كل جبار:أي متسلط معاند لا يسلم بحق [1].

وقال تعالى:﴿ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [2]. أي ما تريد يا موسى إلا أن تكون قتّالاً بطّاشاً، مستعلياً كثير الأذى في الأرض [3]. الجبار: هو الذي يفعل كل ما

---

[1] سورة غافر، الآية

[2] سورة ق ، الآية (٤٥).

[3] الراغب الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ٨٣.

[4] سورة هود، الآية(٥٩).

يريد من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب ، وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لأمـــر الله تعالى[٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [٥].أي وصفهم بالقوة والغلظة والشدة.[٦] وهم رؤساء قوم عاد وكبرئاهم الطاغين.

والجبار الذي يضرب بالسيف أو السوط وذلك ظلماً وعلواً ،وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وهو العاتي الذي يجبر الناس ويكرههم على ما يريد[٧].

وبالاستقراء نجد أن اللفظ "جبر" تكرر ثماني مرات لفظ المفرد ومرتيـــن بلفـظ الجمع. لقد ورد مرتين وصفاً عاد قوم هود.

١- قال تعالى: (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد)[٨]

٢-(وإذا بطشتم بطشتم جبارين) [٩]

٣- قالها الله -عز وجل- عن أقوام الرسل عامه (وخاب كل جبار عنيد) [١٠].

---

[١] قطب : سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط٤، ١٩٩٤، ٥٨٤/١٠.

[٢] سورة القصص، الآية (١٩).

[٣] الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ٧٦/٢٠.

[٤] الألوسي: ابن الفضل شهاب الدين السيد محمود،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثـاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د. ط، د. ت، ٥٨/٢٠.

[٥] سورة الشعراء، الآية(١٣٠).

[٦] ابن كثير :عماد الين أبو الفداء اسماعيل ، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفـــة، بـيروت- لبنـــان، د.ط، ١٩٦٩، ٣٤٢/٣.

[٧] الزمخشري: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر،١٩٧٧، ٨٢٢/٣.

[٨] سورة هود، الآية (٥٩).

[٩] سورة الشعراء ،الآية (١٣٠).

[١٠] سورة إبراهيم، الآية (١٥).

٤- قالها مؤمن من آل فرعون، قال تعالى: (الذين يجادلون بآيات الله بغير سلطان آتاهم كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار)[١].

٥- نفي هذا الوصف عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى: (نحن اعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار)[٢].

٦- نفيه كذلك عن زكريا - عليه الصلاة والسلام- في قوله تعالى: (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا)[٣].

٧- نفيه كذلك عن عيسى -عليه الصلاة والسلام-، في قوله تعالى: (وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا)[٤].

٨- قالها الإسرائيلي لموسى لما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهم، قال تعالى: (قال موسى هل تريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض)[٥].

٩- جاءت وصفاً لله عز وجل (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر...)[٦].

١٠- قالها قوم موسى لما طالبهم أن يدخلوا الأرض المقدسة، قال تعالى: (قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين)[٧].

---

(١) سورة غافر، الآية (٣٥).
(٢) سورة ق، الآية (٤٥).
(٣) سورة مريم، الآية (١٤).
(٤) سورة مريم، الآية (٣٢).
(٥) سورة القصص، الآية (١٩)
(٦) سورة الحشر، الآية (٢٣).
(٧) سورة المائدة، الآية (٢٢).

المبحث الثاني

الألفاظ ذات الصلة بالتجبر

إن موضوع الجبابرة من الموضوعات ذات الأهمية في القرآن الكريم، وقد عرض القرآن هذا الموضوع في عدد من الآيات التي عبرت عن الجبابرة بألفاظ ومفردات مختلفة، ذات صلة بالتجبر مثل الاستعلاء، والاستكبار، والظلم، والفساد، والبغي، والبطش، والاستبداد ، والتمرد ، والتسلط وغيرها من الألفاظ، وفيما يلي نظرة موجزة في هذه الألفاظ:-

أولا:-الاستعلاء

الاستعلاء مشتق من (العلو). علوا، العين واللام والحرف المعتل ياء كان أو واوا أو ألفا أصل واحد يدل على السمو والارتفاع ومن ذلك العلاء والعلو فأما العلاء: تعني الرفعة.وأما العلو: العظمة والتجبر[1].

العلو: العظمة والتجبر، والعلو: التكبر .ويقال لكل متجبر :علا وتعظم ويقال علا فلان في الأرض إذا استكبر وطغى[2].

ومن الأمثلة على العلو قوله تعالى: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾.[3] يعني أن فرعون علا في أرض مملكته وطغى فيها وجاوز الحد في الظلم والفسق.[4] وقوله تعالى: ﴿وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين﴾ [5]. أي إن فرعون غالب قاهر في

---

[1] ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، الدار الإسلامية، د. ط، ١٩٩٠، ١١٢/٤.

[2] ابن منظور: لسان العرب، ٨٥/١٥.

[3] سورة القصص، الآية(٤).

[4] الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل، ١٦٤/٣.

[5] سورة يونس، الآية (٨٣).

أرض مصر ومتجاوز الحد في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء وفي الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية[1].

من خلال المعاني السابقة نلاحظ أن هناك علاقة واضحة، وترابط ملموس بين الاستعلاء والتجبر، حيث إن من يستعلي في الأرض هو من تجبر وتكبر وتجاوز الحد، شأنه شأن فرعون المتجبر الطاغية.

ثانياً:- الظلم.

الظلم مصدر لغيره، ولها أصلان صحيحان أحدهما خلاف الضياء والنور، والآخر: ظَلَمه يظلِمُه ظُلْماً، وهو وضع الشيء في غير موضعه[2].

والظلم: وضع الشيء في غير موضعه وأصل الظلم: الجور ومجاوز الحد، والظلم: الميل عن القصد، والظلمة: المانعون أهل الحقوق من حقوقهم: وتظالم القوم: أي ظلم بعضهم بعضا[3].

ومن الأمثلة على الظلم الذي كانوا يدبرون له للأنبياء -صلى الله عليهم وسلم-، ما ذكره القرآن في حق موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۝ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [4].

---

[1] الألوسي: روح المعاني، ١٦٩/١١.

[2] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ٤٦٨/٣.

[3] ابن منظور: لسان العرب، ٣٧٣/١٢.

[4] سورة القصص، الآية(٢١).

فالآية تُظهر هنا شخصية سيدنا موسى عليه السلام بالتوجه المباشر إلى الله والتطلع إلى حمايته ورعايته وترقب الأمن عنده والنجاة من الظالمين.[1] والمقصود بالقوم الظالمين: هم فرعون وملؤه.

وقد بيَّن القرآن الكريم الحماية الإلهية لموسى -عليه السلام- فقال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [2] فالظالمون -فرعون وأتباعه- هم الذين طغوا وتجبروا وأكثروا في الأرض الفساد، وعاقبهم الله تعالى في الدنيا بالغرق في البحر، كما انهم ملعونون على ألسنة الأنبياء واتباعهم في الدنيا، فهذا دليل على عاقبة الظالمين من الله تعالى التي تعصف بالطغاة والمتجبرين في مثل لمح البصر[3].

يتبين لنا مما سبق أن الظلم والتجبر متقاربان في المعنى من حيث إنهما صفتان سلبيتان. فالظالم هو المتجاوز حدود الله تعالى والمتجبر هو الغارق في بحر الظلم المتعمق في مجاوزة حدود الله.

ثالثاً:-السلطة.

السلطة مصدر (سلط) السين واللام والطاء أصل واحد في القوة والقهر والسلطة من التسلط وهو القهر.[4]

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [5]. هذه الآية الكريمة دليل على أن الشيطان ليس له القدرة على الإغواء أي العباد المخصوصين

---

[1] قطب : في ظلال القرآن، ٥/٢٦٨٥.

[2] سورة القصص: الأية(٤٠).

[3] ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، ٣/٤٣٠.

[4] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ٣/٩٥.

[5] سورة الحجر: الأية(٤٢).

بشرف الانتساب لله تعالى لقوله: (إلا عبادك منهم المخلصين) [1]. وبدليل الاستثناء (إلا من اتبعك من الغاوين). وقيل إنه ليس له عليهم سلطان بحال، لأن الله تعالى صرف سلطانه عليهم حين قال عدو الله إبليس، وأنه لا حجة له على ما يدعوهم إليه من المعاصي.[2]

وقد أكد المولى ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [3]. أي ليس للشيطان تسلط واستيلاء على المؤمنين لأنهم لا يقبلون وساوسه، وإنما سلطانه فقط على الذين يجعلونه والياً عليهم فيستجيبون لدعوته، فالمراد بالسلطان التسلط والولاية بالدعوة المستتبعة للاستجابة، والتسلط بالقسر، فسلطانه على أوليائه.[4]

أما أهل الإيمان المخلصين فليس له عليهم من سبيل كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾. وكما شهد الشيطان بنفسه فقال تعالى: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [5]

مما تقدم نلاحظ أن التسلط والتجبر وجهان لعملة واحدة، من حيث فرض السيطرة والتعدي على حقوق الله.

رابعاً:-الاستكبار.

الاستكبار مصدر استكبر وفعله الثلاثي كبر كبراً يقال كَبُرَ:عَظُمَ وَجَسُمَ ،والكبْر :معظم الشيء والشرف، والعظمة والتجبر كالكبرياء، وقد تكبر واستكبر وتكابر .[6]

---

[1] سورة ص، الآية (٨٣).

[2] القرطبي: أبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، القاهرة - مصر، ط١، ١٩٩٤، ١٠/١٧٥.

[3] سورة النحل، الآية(٩٩-١٠٠).

[4] الألوسي: روح المعاني،١٤/٢٣٠.

[5] سورة ص، الآية(٨٢-٨٣).

[6] الفيروز أبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، د. ط، ٢/١٢٨.

والكبر والتكبر والاستكبار متقاربة، فالكِبْر :الحالة التي تخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره.[1]

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾[2].المستكبرون هم الذين رأوا كل من سواهم حقيرا بالنسبة إليهم، ولم يروا العظمة والكبرياء إلا لأنفسهم، فنظروا إلى غيرهم نظر الملوك إلى العبيد.[3] وقد أشار الرسول –صلى الله عليه وسلم– إلى هذه الحقيقة بقوله: **(لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ)** [4]. أي عدم الاعتراف بالحق، وعدم الاعتراف بالفضل لأهل الفضل.

والاستكبار بالحق إنما هو لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة، أي المتبالغ في كبرياء الشأن قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم– فيما حكى عن ربه:"الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار[5] "وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق.

الاستكبار وجه من وجوه التجبر في الأرض . فكل متجبر متعالٍ مستكبر عن الحق، مستصغر ومحتقر للآخرين متطاول عليهم.

---

[1] الراغب الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ٤٣٨.

[2] سورة البقرة: الآية(٣٤).

[3] الألوسي: روح المعاني، ٨٢/٢٠.

[4] مسلم: أبي الحسين، مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، دار الأرقم، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٩.
– أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ٣٧، رقم تحريم الكبر وبيانه، ص٦٦، برقم ١٤٧.

[5] ابن حنبل: أحمد، المسند، المكتب الإسلامي للطباعه والنشر، ٢٤٨/٢. وقال احمد شاكر إسناده صحيح (ابن حنبل: أحمد المسند، شرحه وصنع فهارسه، أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة – مصر، ط١، ١٩٩٥، ١٨٨/٧).

خامساً:-البغي.

البغي: الاستطالة على الناس والعدول عن الحق، والعدوان على الخلق. والبغـــي: الظلم والفساد، يقال فلان يبغي على الناس إذا ظلمهم وطلب أذاهم . والفئة الباغية هـــي الفئة الظالمة الخارجة عن طاعة الإمام العادل. وأصل البغي مجاوزة الحد .[1]

وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[2] هذه فالآية تقرر مسلك قارون مع قومه وهو مسلك البغي وسبب هذا البغـــي هو الثراء.

فقارون تجاوز حدوده بالمال الذي منحه الله إياه معتبراً هذا المال مـــن جـــهده وليس لأحد نصيب فيه.

سادساً:-العصيان.

العصيان من (عصى). والعصا أصله من الواو لقولهم في التثنيـــة عصـــوان، وجمعه عصيّ.وعصى عصياناً إذا خرج عن الطاعة.[3] وهناك رأي آخر وهو أن أصل عصا من الياء. أي عصيّ. بدليل عصى يعصي عصياناً.

العصيان: مخالفة الأمر، قال تعالى:﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [4]. وقد يعبر بالعصيان عن مجرد الامتناع.[5]

---

[1] ابن منظور : لسان العرب، ٧٨/١٤.

[2] سورة القصص: الآية(٧٦).

[3] الراغب الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن،٣٣٧ .

[4] سورة طه:الآية(٩٣).

[5] السمين الحلبي: احمد بن يوسف، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق محمد التونجـــي، عـــالم الكتب، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٣، ١٠٦/٣.

قال تعالى :﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾.[1]

أي إن قوم عاد جحدوا بالآيات وعصوا الرسل جميعا، فما أشنع جريمتهم بأنهم اتبعوا أمر كل متسلط عليهم معاند لا يسلم بحق، وهم مسؤولون عن أن يتحرروا من سلطان المتسلطين ويفكروا بأنفسهم .[2]

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾.[3] أي إن فرعون عصى موسى وكذب به ولم يؤمن، وأهل مكة ازدروا محمداً -عليه السلام- كما ازدرى فرعون موسى -عليه السلام- فكان عقابه ثقيلا شديدا. وضرب وبيل وعذاب وبيل: أي شديد.[4]

فالعلاقة بين التجبر والعصيان علاقة عموم وخصوص، فكل متجبر عاصٍ وليس كل عاصٍ متجبر.

سابعاً:-البطش.

البطش من الباء والطاء والشين، وهو أخذ الشيء بقهر وغلبة وقوة .[5]

والبطش تناول الشيء بصولة وقهر، ويقال سرعة الانتقام وعدم التوعدة في العفو.[6]

قال تعالى : ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾.[7] البطش : السطوة والأخذ بالعنف، والبطش القتل بالسيف، والضرب بالسوط، والبطش يكون باليد وأقله الوكز والدفع،

---

[1] سورة هود، الآية(٥٩).

[2] قطب: في ظلال القرآن، ٤/١٩٠٠.

[3] سورة المزمل، الآية(١٥-١٦).

[4] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٩/٤٨.

[5] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ١٠/٢٦٢.

[6] السمين الحلبي: عمدة الحفاظ، ١/٢٠٠.

[7] سورة الشعراء، الآية(١٣٠).

ويليه السوط والعصا، ثم الحديد وكله مذموم إلا بحق والجبارون هم القتّالون في غير الحق .[1]

وقال : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾[2]. وهذا خطاب موجه إلى النبي -عليه السلام- فيه تذكير بالأقوام السابقين الذين هلكوا قبل قومه، وكانوا أشد منهم قوة وبطشاً فطافوا في البلاد فهل هؤلاء من الموت سيهربون.[3]

فالآيات تصور لنا بأن الجبار يعشق الصولة والجولة والأخذ بالعنف والبطش باليد والسيف ناسياً أن بطش الله شديد وسريع.

ثامناً:- التمرد.

تمرد : أقبل وعتا، والمارد : العاتي الشديد ،والمرد : التطاول بالكبر والمعاصي ومرد على الشر وتمرد : أي عتا وطغى، والمريد :الخبيث المتمرد الشرير.[4]

قال الأصفهاني: "والمارد والمريد من شياطين الإنس والجن المتعري من الخيرات من قولهم شجر أمرد إذا تعرى من الورق، ورمل مرداء لم تنبت شيئاً، ومنه الأمرد لتجرده من الشعر، وروي أهل الجنة مُرْدٌ فقيل حمل على ظاهره، وقيل معرون من الشوائب والقبائح، ومنه مرد عن القبائح، ومرد عن المحاسب وعن الطاعه، ومنه قوله تعالى: ﴿مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ [5]. أي مملس من قولهم شجرة مداء إذا لم يكن عليها ورق[6].

---

[1] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٣٢/١٣.

[2] سورة ق، الآية(٣٦).

[3] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢٥/١٧.

[4] ابن منظور : لسان العرب،٣ /٤٠٠.

[5] سورة النمل، الآية (٤٤).

[6] الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن، (٤٨٦).

وقد صور القرآن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [1].قيل: نزلت في أبي جهل، وقيل: في أبي بن خلف، والنضر بن الحارث، وقيل: في النضر، وكان جدلاً يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين ولا يقدر الله على إحياء من بلي وصار تراباً. والآية عامه في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال. والظاهر: أن قوله: ﴿كل شيطانٍ مريد﴾ ومن الجن كقوله في سورة النساء ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾[2]..... [3].

وقوله: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [4] والمارد: هو العاتي المتمرد، والمريد الخارج عن الطاعة فهو مارد ومريد ومتمرد.[5]

إن المتمرد والجبار يصبان في مصب واحد وهو الخروج عن الطاعة وعدم قبول الحق والإذعان له.

تاسعاً:- الفساد.

الفساد : خروج الشيء عن الاعتدال، وضده الصلاح.[6] وقيل الفساد خروج الشيء عن الاعتدال والاستقامة قلّ ذلك أو كثر ...فسد يفسد فساداً فهو فاسد وأفسد يفسد فهو مفسد إفساداً.[7]

---

[1] سورة الحج، الآية(٣).

[2] سورة النساء، الآية(١١٧).

[3] أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمود معوض، وزكريا عبد المجيد النوني، وأحمد الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٣، ٣٢٦/٦.

[4] سورة الصافات، الآية(٧).

[5] القرطبي: الجامع لحكام القرآن، ٣٨٦/٥.

[6] الأصفهاني: معجم مفردات أحكام القرآن، ٣٩٣.

[7] السمين الحلبي: عمدة الحفاظ، ٢٧٢/٣.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1]

هذه الآية تخبرنا عن فرعون الطاغية المفسد ذلك لأن فعله اشتمل على مفاسد عظيمة، وأبرز أشكال الإفساد التي مارسها مع قومه كانت تفريق كلمتهم واستضعافهم، وتذبيحهم واستحياء نسائهم وهي أخطر أنواع الفساد في الأرض .[2]

إن أبرز صفات المتجبر الإفساد حيث لا يستطيع العيش دون الظلم والفساد والعمل على إيذاء أهل الخير والصلاح فالإفساد وجه من وجوه التجبر.

عاشراً: - الطغيان.

والطغيان من طغا يطغو طغواً وهو مجاوزة الحد في العصيان يقال هو طاغ.[3]

والطغيان في اللغة:- هو مطلق الزيادة على وجه الإهلاك والأضرار. قال تعالى: (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) [4].

طغياً وطغياناً بالضم والكسر: جاوز القدر وارتفع وعلا في الكفر وأسرف في المعاصي والظلم.[5]

وقد جاء في القرآن الكريم بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[6].إنه طغى أي جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظمة التي هي دعوى الربوبية.[7]

---

[1] سورة القصص، الآية(٤).

[2] طاهر: نفيسة بنت محمد، الطغيان في سورة القصص، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن ، ١٢.

[3] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ٤١٢/٣.

[4] سورة الحاقة، الآية (١١).

[5] الفيروز أبادي :القاموس المحيط،٣٩٩/٤.

[6] سورة طه، الآية(٢٤).

[7] الألوسي: روح المعاني، ١٨١/٨.

وقوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [1].الطغيان هو مبالغة في الطغـــي وهـــو الإفراط في الشر والكبر.[2]

فالطغيان تجاوز الإنسان حده وقدره، وحد الإنسان هو ما حده الله له من حـــدود لا يجوز أن يتجاوزها، وقدْر الإنسان هو قدْره باعتباره عبداً لله تعالى فتلزمـــه طاعـــة سيده ومولاه، وبقاؤه في نطاق العبودية له ،فإن تجاوز ما حدّ الله تعالى للإنســـان مـــن حدود وقع في المعصية والتمرد على الله.[3]

فكل طاغ متجبر وكل متجبر طاغ وكلاهما متجاوز لحدود الله وكلاهما مســـتعلٍ على العبودية لله تعالى ومتكبر على الحق ومفرط في الشر والظلم.

---

[1] سورة البقرة، الآية(١٥).

[2] ابن عاشور: محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر، د. ط، ١٩٨٤، ٢٩٦/١.

[3] زيدان :عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، (١٩١).

الفصل الأول

عرض التجبر في القرآن الكريم أسبابه ووسائله

المبحث الأول: العوامل التي أدت إلى التجبر

المبحث الثاني: أسباب التجبر وأمثلة ذلك

المبحث الثالث: أساليب الجبابرة ووسائلهم

الفصل الأول

عرض التجبر في القرآن الكريم أسبابه ووسائله

المطلع على مواقف الجبابرة في القرآن الكريم يلاحظ أنهم أصحاب أشكال مختلفة وأنماط متعددة، ويتخذون أساليب ووسائل متنوعة لتحقيق أهدافهم، وانطلاقاً من ذلك لفت القرآن الكريم الأنظار إلى مواقفهم العدوانية من الأنبياء -عليهم السلام- ولتوضيح هذه المواقف كان لا بد من معرفة أنماط الشخصية المتجبرة، فهناك صاحب المال، وهناك صاحب السلطة وآخر تجبر بكثرة الأولاد، وغيرها من الأنماط، كما انه لا بد من معرفة العوامل التي أدت إلى التجبر من ترف أو تقليد أعمى، أو سلطة أو حتى عامل فطري أو ....الخ، والتعرف على الأساليب التي اتبعوها ضد الأنبياء من أساليب السخرية والاستهزاء، أو أساليب التهديد أو الأذى الجسماني وغيرها من الأساليب، وهذا ما سيعرض إن شاء الله من خلال هذا الفصل.

المبحث الأول

العوامل التي أدت إلى وجود الجبابرة

إن القرآن الكريم كتاب يهدي إلى السراط المستقيم، وفي الوقت ذاته يبين آفاق الانقياد الأعمى للتجبر والاستعلاء وقد ذكر القرآن أن الخير والشر متلازمان في النفس البشرية، وأن على الإنسان أن يختار إما طريق الخير وإما طريق الشر، ومن هنا كان لا بد من لفت الأنظار إلى سر الانقياد للشر الذي هو مدعاة للتجبر، وهذه الصفة الذميمة التي يقتضي وجودها وجود كثير من الصفات المنفره والنكران للنعم والتبطر والتمرد عليها والاستعلاء والتطاول في الباطل والسعي للظلم في الأرض والإفساد فيها ويمكن تلخيص أهم الأسباب المؤدية إلى وجود الجبابرة في الأرض فيما يلي:-

العامل الأول: الترف وكثرة المال (الثراء والغنى)

المال: هو كل ما تميل إليه النفس ويهنأ به العيش ويتوصل به إلى ما تهواه النفس من متاع وملذات.[1]

والمال هو قوام الحياة الإنسانية وعمادها لذلك نجد الناس يتسابقون في طلبه ويتزاحمون على منابعه كلهم ظامئ إليه طامع فيه وهو نعمة من النعم التي أنعمها الله على الإنسان وقد يتحول إلى نقمة ويصبح شراً. والقرآن الكريم يصور المال بصورتين: صورة مذمومة وصورة محمودة. وفي الصورة الأولى يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [2] وفي الصورة الثانية وهي

---

[1] زيدان : عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، (١٩١).

[2] سورة التغابن، الآية (١٥-١٦).

الصورة الجميلة، يقول المولى عز وجل: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [1].

دلّ القرآن على أن المال مال الله، وأنه نعمة من نعم الله على الإنسان ليدبر أمر عيشه في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [2] والنفس الإنسانية بطبيعتها تحب المال، لأنه وسيلة لتحقيق حاجاتها، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [3] وسماه الله تعالى خيراً في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [4] وهذا الحب الكثير للمال قد يؤدي إلى التجبر والتكبر والاستعلاء على شرع الله وتجاوز حدوده.

وقد نظر الإسلام للمال على أنه وسيلة وليس غاية، فالمال ليس مذموماً لذاته وإنما يصبح مذموماً إذا اتخذ غاية، وأصبح صاحبه حريصاً على كنزه ومنع الآخرين من الانتفاع به والحريص على المال يسلك جميع السبل من غش وسرقة.....وغير ذلك من الطرق غير المشروعة للحصول عليه فتعمى الأبصار عن الحق لظنهم أن المال مصدر السعادة والهناء.

لذلك نجد أن المترفين أول من تصدوا لدعوات الأنبياء خوفاً على مالهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ۝ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [5].

---

[1] سورة النساء، الآية (٥).

[2] سورة الفجر، الآية (١٥).

[3] سورة الفجر، الآية (٢٠).

[4] سورة العاديات، الآية (٨).

[5] سورة سبأ: الآية(٣٤-٣٥).

وقد قص القرآن الكريم علينا نماذج لأناس أعماهم الغنى والترف عن معرفة الحق واستكبروا بما رزقهم الله ومن هذه النماذج (قارون).

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۞ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ۞ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾[1].

"فها هو القرآن يتحدث عن حوار قارون مع قومه، ليجسد الصورة الحية للإنسان المادي الذي يمثل المال قيمة حياتية كبرى لديه، تتضخم بها شخصيته وتنتفخ بها ذاته ، فيشعر بالزهو والغرور الذي يملك عليه كل مشاعره وأفكاره حتى لينسى ربه ثم ينسى نفسه...ويتعاظم إلى المستوى الذي يرى فيه نفسه فوق الناس، وتتساقط أمامه القيم ويزحف المال إلى خلايا فكره فيسد كل نوافذ الخير، ويسدل على عينيه غشاوة الضلال فلا يبصر إلا من خلال المال ولا يفكر إلا في هذا الاتجاه."[2]

---

[1] سورة القصص: الآية(٧٦-٨١).

[2] فضل الله: محمد حسين، الحوار في القرآن الكريم قواعده وأساليبه ومعطياته، المؤسسة الجامعية لدراسات النشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٣، ١٩٨٥، ص ٣٤١.

"الآيات الكريمات السابقة الذكر تشير إلى كثرة كنوز قارون حتى انه (لتنوء بالعصبة) أي ليثقل حملها لكثرتها".[1]

وقد استخدم قارون هذه الأموال والكنوز[2] في البغي والظلم والتكبر والبطر والخيلاء، وكان فتنة للفقراء الضعفاء. وقد صورت لنا الآيات مظاهر تجبر قارون وطغيانه بالمال.

"بغى على قومه بثروته :أي ظلمهم واستطال عليهم وبغي الأقارب على بعضهم كثير الوقوع وينشأ أكثره من الحسد وكلمة البغي شديدة الصلة بالحسد".[3]

"ومن مظاهر تجبر قارون: تكبره واستعلاؤه وأعراضه عن النصح بعد أن أنعم الله عليه بالمال. فقد رده قومه عن البغي ﴿إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾.

فحاول القوم إرشاده وإصلاح أمره وعرضوا النصح عليه ولكن كثرة المال أعمته عن رؤية الحق، والاعتراف بفضل الله تعالى وما كان جوابه إلا ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي﴾ ومعنى هذا أي أنا لا أفتقر إلى ما تقولون، فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه باني استحقه ولمحبتهِ لي، فتقديره: إنما أعطيته لعلم الله في أني أهلٌ له.[4] فأعطانيه على علم عندي في طرائق الكسب ومهارتي في بتحصيل أسبابه.

---

[1] ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، ٤٩٣/٣.

[2] الكنوز: جمع كنز وهو اسم للمال إذا أحرز في وعاء ولما يحرز فيه . وقيل الكنز: المال المدفون.

[3] طهماز: عبد الحميد محمود، من موضوعات صور القرآن الكريم عاقبة الطغيان والفساد في سورة القصص، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ص ٥٧.

[4] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٤٤٠/٣.

"ومن مظاهر تجبره أيضاً: هو إفساده في الأرض فكان فتنه لقومه بأن خـــرج عليهم بزينته (فخرج على قومه في زينته) ومعنى هذا أنه خرج على قومه في زينـــة عظيمة، وتجمل باهر من مراكب وملابس عليه وخدم وحشم. فـــهو يريـــد أن يبـــهر الأنظار بزينته ليظل المستضعفون من قومه خاضعين للإحســـاس العميـــق بعظمتـــه ومكانته، فيتمنوا أن يكون لهم مثل ما أوتي قارون: ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون﴾، فلما رآه ضعفاء الإيمان ممن تخدعهم الدنيـــا ببريقـــها وزخرفـــها وزينتها قالوا يا ليت لنا مثل هذا الثراء والغنى الذي أعطيه قارون. و قال لهم العقـــلاء من أهل العلم والاستقامة :ارتدعوا وازدجروا عن مثل هذا الكلام فإن جزاء الله لعبـــاده المؤمنين الصالحين خير مما ترون وتتمنون من حال قارون".[1]

وتأتي نهاية قارون وهي نهاية كل ظالم ومتجبر، وكل عات ومتكـــبر لتحطيـــم الغرور والكبرياء ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾. فهو عبرة لكل جبارٍ عاتٍ طاغٍ.

إن المال لغة المترفين دائماً، فالمال هو الأول والأخير عندهم حتى إن صاحبـــه يصير عبداً له. وهذا أبرز نموذج للتجبر الذي سببه الثراء والغنى.

العامل الثاني: التبعية والتقليد الأعمى

يعد تقليد السابقين والحرص على التمسك بعاداتهم وتقاليدهم، والتبعية لهم عاملاً مهماً في كفر الأقوام وتعنتهم، وهو من أهم العوامل التي تؤدي إلى وجـــود المتجـــبر المتعالي على الحق ومن ثمّ يكون المتجبر هو التابع، والمتبوع الذي ظلم نفسه بكفـــره وظلم غيره من التابعين لكفره.

---

[1] الصابوني: صفوة التفاسير ٤٤٧/٢٠.

فقد وقف قوم هود عليه السلام يعترضون دعوته بل أخذتهم العزة بالإثم ووقفوا موقف التحدي لنبيهم قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١)

"هذا هو الاستعباد الذي يسلب الإنسان حرية التدبر والتفكير، ويتركه عبداً للعادات والتقاليد، ومن خلال الآية السابقة نرى أن قوم هود يستعجلون العذاب فراراً من مواجهة الحق، بل وفراراً من تدبر تفاهة الباطل الذي هم له عبيد.(٢)"

والقرآن الكريم يحدثنا عن جهاد سيدنا إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه، وقد كان أبوه المقلد للأجداد أول من وقف ضده، فكان الحوار التالي قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۞ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيًّا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَانِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۞ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (٣)

كان رد أبيه رداً ينطلق من موقع الشعور بسلطة الكفر فالحوار كان بين نبي الله ورجل كافر يصر على كفره وإنما ناداه إبراهيم بلفظ الأبوة تلطفاً فلم يقل له أبوه أراغب أنت عن آلهتي يا بني. ولكن إبراهيم لم يتراجع عن موقفه العاطفي إزاء أبيه فما كان رد فعل إبراهيم -عليه السلام- إلا التوجه إلى أبيه بالسلام والدعاء له بالمغفرة.(٤)

---

(١) سورة الأعراف: الآية(٧٠).

(٢) قطب : في ظلال القرآن، ٣/١٣١١.

(٣) سورة مريم، الآية(٤١-٤٦).

(٤) فضل الله : محمد حسن، الحوار في القرآن الكريم، ص (٢٥٣).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۝ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ۝ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.[1]

"هذا هو الجهل بعينه والعمى عن طريق الخير والحق وهذا هو التقليد الأعمى.

إن هذا الجواب يدل على تحجر العقل والنفس داخل قوالب التقليد الميتة ، في مقابل حرية الإيمان وانطلاقه للنظر والتدبر، وتقويم الأشياء والأوضاع بقيمها الحقيقية لا التقليدية، فالإيمان بالله طلاقة وتحرر من القداسات الوهمية التقليدية والوراثات المتحجرة التي لا تقوم على دليل، لذلك كان جواب إبراهيم عليه السلام ﴿لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾ فما كانت عبادة الآباء لتكسب هذه التماثيل قيمة ليست لها ولا لتخلع عليها قداسة لا تستحقها ،لأن القيم لا تنبع من تقليد الآباء وتقديسهم بل من الإيمان المتحرر الطليق.[2]"

ثم ننتقل إلى موقف فرعون وملئه، فقد بعث الله لأولئك القوم رسولاً دعاهم إلى الإيمان بالله وعبادته ولكنهم رفضوا هذه الدعوة. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [3].

فقد اتهموا موسى عليه السلام بالسحر، ورفضوا دعوة موسى واختار الملأ والأتباع دعوة فرعون إلى الباطل والهوى.

وهكذا كان فرعون وملؤه يعاندون دعوة الحق بسبب التقليد الأعمى فقد كانت سلطة فرعون تقوم على أساس إلهي وهو الذي ورثه عن آبائه وأجداده .وقد سطر

---

[1] سورة الأنبياء، الآية (٥١-٥٤).

[2] قطب: في ظلال القرآن، ٤/٢٣٨٥.

[3] سورة القصص، الآية (٣٦).

﴿يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَانِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [1]. ومن أمثاله تتكون كتيبة شياطين الإنس التي تنظم إلى كتيبة شياطين الجن، لإبطال الحق، وإشاعة الباطل، والإفساد في الأرض، والصد عن سبيل الله، والوقوف في مجابهة دعوات الرسل، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [2]. ولعل من أصدق الأمثلة على ذلك بعض الشخصيات المسلمة عمر بن الخطاب وأمثاله كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، فقد كانوا في جاهليتهم جبابرة يقعدون للإسلام كل مرصد ويصدون عن سبيل الله ويوقعون أشد الأذى بالرسول والمسلمين، فعمر كان يريد قتل الرسول -صلى الله عليه وسلم- فأي ذنب عظيم وأي جبروت أثيم أكبر من الإقدام على قتل رسول الله... وهذا خالد صاحب لواء المشركين في أحد الذي التف خلف المسلمين وألحق بهم هزيمة أليمة، بعد أن ترك الرماة مواقعهم طلباً للغنائم لما رأوا هزيمة الكفار ولم يثبتوا في مواقعهم كما أمر رسول الله... ومع ذلك ماذا كان من عمر وخالد بعد الإسلام، تحول كل جبروت عمر إلى نصرة الإسلام والحق وإزهاق الباطل وكسر شوكة الكفر وإزالة دولة الشرك.

العامل الرابع: السلطة

إن الحكم والسلطان لمن أخطر عوامل التجبر، لأن أصحاب السلطة يملكون القوة والمال والعدة، وقد أخبرنا القرآن عن الطغاة الجبارين من أصحاب السلطة الذين وقفوا أمام دعوات الرسل وحاربوا الحق وأتباعه لأنهم نظروا إلى الرسل على أنهم يهددون سلطانهم.

---

[1] سورة الزخرف، الآية (٣٦).

[2] سورة الأنعام، الآية (١١٢).

"لذلك كان هؤلاء أشد الناس مقاومةً لرسالة الأنبياء، بل إنهم يجدون بما في الرسالة من احترام للإنسان ما يهدد كيانهم وسلطانهم، لذلك يأمرون من هم تحت سلطانهم ونفوذهم بمقاومة الأنبياء، وقد تصل بهم الحال إلى تهديد من يؤمن بهم أو يدعو لهم فكانوا بذلك رسل فساد في الأرض[1]"

وكانوا سبيلاً لإغواء غيرهم بما يستوجب عليهم جميعاً عذاب الله، وتأخذهم العزة بالإثم ليزدادوا علواً في المكابرة والعناد.

وقد اصطلح على تسمية التجبر عن طريق السلطة بالاستبداد، والاستبداد: "صفة للحكومة المطلقة العنان التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب محققين[2]".

والمستبد هو "الذي يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم ويحاكمهم بهواه لا بشريعتهم، ويعلم في نفسه أنه الغاصب المتعدي، فيضع كعب رجله على أفواه الملايين من الناس يسدها عن النطق بالحق والتداعي لمطالبته، والمستبد عدو الحق والحرية وهو إنسان مستعد بالطبع للشر"[3].

والسلطة ضرورية لتحقيق أمن الجماعة والمجتمع ولكن هناك حدود يجب أن تقف عندها السلطة دون تجاوز، فإن تجاوزتها انقلبت إلى نوع من الطغيان، ومما يؤكد هذا ما قاله عبد الكريم زيدان: (تجاوز الإنسان حده وقدره بسبب ما أُتيه من سلطة الأمر والنهي ونفاذهما على الغير ولو جبراً وقهراً عن الاقتضاء، وأكثر ما يكون هذا

---

[1] عدس، محمد عبد الرحيم، من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم، مكتبة المنار، الأردن – الزرقاء، ط١، ١٩٨٥، ص ١٠٨– ١٠٩.

[2] الكواكبي: عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دار الشرق العربي، بيروت – لبنان، ط٣، ١٩٩١، ص ٢.

[3] الكواكبي:، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص ٢٧.

الطغيان عند الحكام وولاة الأمر، لأن سلطتهم وطغيانهم تتعلقان بعموم النـــاس، وهـــم الذين يبتلون بشرور طغيانهم)[1].

والقرآن الكريم عرض منهجاً صحيحاً مستقيماً وقرر ضرورة وجـــود ســـلطة تحكم بين الناس، ومن الآيات التي تعرضت للحكم والملك والسلطان، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [3]".

وأبرز مثال ذُكر في القرآن الكريم لهذا النوع من التجبر هو فرعون عـــدو الله وعدو سيدنا موسى -عليه السلام-، الذي هو رمز لكل حاكم متجـــبر طـــاغٍ مســـتبد، فرعون الذي بتجبره وتكبره وتعاليه تجاوز حده بأن ادعى لنفسه الألوهيـــة، واســـتعلى على خلق الله حتى استعبدهم وظلمهم، وقد استبد فرعون ببني إسرائيل وكان يســـتحيي نساءهم، ويقتل أبناءهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[4]. "لقد أفسد فرعون فـــي أرض مصر، وجعل أهلها فرقاً وأصنافاً في استخدامه وطاعته، يستعبد ويستذل فريقـــاً منـــهم وهم بنو إسرائيل فيسومهم سوء العذاب، ويقتل أبناءهم الذكور ويترك الإناث على قيـــد الحياة لخدمته وخدمة الأقباط، وكان من الراسخين في الفساد، المتجبرين فـــي الأرض، ولذلك أدعى الربوبية وأمعن في القتل وإذلال العباد[5].

---

[1] زيدان: عبد الكريم، السنن الإلهية، ص ١٩١.

[2] سورة المائدة، الآية (٤٥).

[3] سورة المائدة، الآية (٤٩).

[4] سورة القصص، الآية (٤).

[5] الصابوني: صفوة التفاسير، ٢/ ٤٢٤.

ومن مظاهر التجبر في سلطان فرعون:

المظهر الأول: التكبر والاستعلاء

قال تعالى: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ أي: تكبر وتجبر وطغى[1]. والعلو والاستكبار من الأمراض التي تصيب الحكام، واستكبار فرعون واستعلاؤه أدى إلى التجبر والفساد.

المظهر الثاني: أنه جعل أهل مصر شيعا

فقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ ومعنى الشيع: "أي أصنافاً قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته[2]" ومعنى هذه الآية: "أنه لم يكن أساس حكومته تساوي الجميع أمام القانون وأن بينهم حقوقاً متساوية بل سلك في المجتمع وسياسته مسلك تقسيم أهل البلد الواحد شيعا وجماعات يعطي إحداهما امتيازات ويخصها بعنايات ويتخذ منها قادة وحكاما، أما الأخرى فأهلها مقودون مستضعفون مقهورون منهوبون[3]" وهذا التقسيم يؤدي إلى الحقد والتباغض.

المظهر الثالث: إن فرعون كان يستضعف طائفة من قومه

قال تعالى: ﴿يستضعف طائفة منهم﴾ فقد استعبد فرعون طائفة وسخرهم لخدمته واستذلهم وعذبهم بشتى وسائل العذاب.

وقد قال أكثر المفسرين أن هذه الطائفة هم بنو إسرائيل ومما يؤكد ذلك ما ذكره صاحب الظلال حيث قال: "ووقع أشد الاضطهاد والبغي على بني إسرائيل لأن لهم عقيدة غير عقيدته هو وقومه فهم يدينون بدين جدهم إبراهيم وأبيهم يعقوب، ومهما يكن

---

[1] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٤١٨.

[2] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٤١٩.

[3] المودودي: أبو الأعلى، فرعون في القرآن، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، د. ت، د. ط، ص ١٢٩.

قد وقع في عقيدتهم من فساد وانحراف فقد بقي لها أصل الاعتقاد بإله واحد، وإنكار ألوهية فرعون والوثنية الفرعونية جميعا[1]".

المظهر الرابع: تذبيح الأبناء واستحياء النساء

قال تعالى: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ أي يذبح أبناءهم حين الولادة فكلما ولدت امرأة منهم ذكراً قتلهُ ويستبقي إناثهم لأنه كان يتوجس خيفةً من الذكران[2]. وقال تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [3]. ويروى أن فرعون رأى في منامه ناراً خرجت من بيت المقدس فأحرقت بيوت مصر فأُولت له رؤياه: أن مولوداً من بني إسرائيل ينشأ فيكون هلاكه على يديه وقيل غير هذا[4].

"وقد فصّل القرآن الكريم العذاب الشديد الذي أوقعه آل فرعون على بني إسرائيل بأن تمثل في تذبيح أبنائهم واستحياء نسائهم، وقد اسند التعذيب إلى آل فرعون لأنهم قاموا به ونفذوه، وهذا يدل على أن كل من تولى قتل إنسان أو تعذيبه فهو المسؤول عن الجريمة حتى ولو فعلها بأمر غيره وهناك روايات عن كيفية تذبيح أبناء بني إسرائيل واستحياء نسائهم وعن السبب في ذلك لكنها ربما تكون منقولة عن الإسرائيليات[5]".

المظهر خامس: ادعاء فرعون الألوهية لنفسه

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[6]. "وقال فرعون لقومه –على سبيل الكذب والفجور –: يا أيها الأشراف من أتباعي إني ما علمت لكم

---

[1] قطب، سيد، في ظلال القرآن، ٥/ ٢٦٧٧.

[2] المراغي: أحمد مصطفى، تفسير المراغي، د. ن، ط٣، ١٩٧٤، ٣٣/١٩.

[3] سورة البقرة، (٤٩).

[4] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٣٩٣/١.

[5] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٢١/١.

[6] سورة القصص، الآية (٣٨).

من إله سواي. قوله هذا يدل على ما بلغه من طغيان وغرور فكأنه يقول لهم: إني لم أعلم بأن هناك إلها لكم سواي، وما لا أعلمه فلا وجود له[1]".

وفي آية أخرى ادعى الربوبية قال تعالى: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ۞ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۞ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [2].

وهكذا كان الحاكم أو السلطان في مصر التي تسلط عليها فرعون الطاغية، وكذلك في أماكن أو بلدان أخرى، "فما من مستبد سياسي إلا ويتخذ لنفسه صفة قدسية يشارك بها الله، لكن هذه الصفة قد تكون ظاهرة بارزة يعلنها الحاكم نفسه كما فعل فرعون، وقد تكون خفية مستترة، وإن كان مضمونها ظاهراً في سلوكه"[3].

إن فرعون قالها بصراحة معلنا لقومه الألوهية والربوبية: ما علمت لكم من إله غيري، وأنا ربكم الأعلى – لكن السائرين على طريق فرعون والطغاة يقولونها بلسان الحال لا بلسان المقال.

ومن أحسن الأقوال في هذه المسألة قول المودودي: "وإذا نحن أمعنا النظر من هذه الناحية وجدنا وضع فرعون لا يختلف أبداً عن وضع الدول التي تركت شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعت لنفسها الحاكمية والقانونية، وسواء رضيت هذه الدول بالحاكم شرعاً وصاحب الأمر والنهي فيها أو معين الشعب مصدراً للتشريع فما دامت تطبق أحكامها وأوامرها وقوانينها لا أحكام الله وقوانينه فلا فرق إذن بين موقفها وموقف فرعون[4]".

وقد رأى ابن تيمية أن فرعون من أفسد الملوك في الأرض وذلك حينما قسم الناس إلى أربعة أقسام فقال: **القسم الأول:** يريدون العلو على الناس والفساد في الأرض

---

[1] الطنطاوي: تفسير الوسيط، ٣٠٨/١.

[2] سورة النازعات، الآية (٢٠-٢٤).

[3] كواكبي – طبائع الاستبداد مصارع الاستعباد. ص ٣٣.

[4] المودودي، فرعون في القرآن، ص ٣٣.

وهو معصية الله، هؤلاء الملوك والرؤساء المفسدون كفرعون وحزبه وهؤلاء هم شرار الخلق ... **والقسم الثاني:** الذين يريدون الفساد بلا علو، كالسارق والمجرمين من سفلة الناس.... **القسم الثالث:** يريدون العلو بلا فساد كاللذين عندهم دين، يريدون أن يعلوا به على غيرهم من الناس ... **القسم الرابع:** فهم أهل الجنة، اللذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً[1].

وقد اتخذ فرعون رمزاً لكل متجبر طاغ، (فرعون موسى علم على سائر الفراعنة بل رمز لكل طغيان) [2].

نلاحظ مما سبق أن سبب تجبر فرعون هو سلطانه وملكه، ولهذا فإن عاقبة تجبره تعد عبراً ودروساً وعظات لمن يتولون مقام السلطة والحاكمية لإقامة الدين والسياسة الدولية بالحق وبما شرع الله تعالى.

العامل الخامس: الوظيفة أو المنصب

يقصد بالوظيفة أو المنصب: الاشتغال بمهمة تتضمن تحملاً لمسؤولية وإسداء منافع ومصالح لآخرين بحيث يكون متقلدها أهلاً لذلك، وقد يلقب صاحبها بالحاكم أو الوزير أو الكاتب أو القاضي أو العامل أو المحتسب أو الجند وإلى غير ذلك من الألقاب التي تجمعها تسمية لمن يتولى الوظيفة في الأنظمة الحكومية[3]".

ولا بد من الإشارة إلى أن التجبر في السلطة يؤدي بالضرورة إلى التجبر في المنصب والوظيفة ومما يؤيد هذا (الحكومة المستبدة تكون مستبدة في كل فروعها)[4] وقد اصطلح الكواكبي على تسميته بالتمجد فهو تملق وتقرب من ذوي السلطان "وهو

---

[1] ابن تيميه: تقي الدين أبو العباس أحمد، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٣، ص ١٤٠.

[2] عوض: محمد عبد الرحمن السيد، الفرعونية كما صورها القرآن الكريم، ص ١٤.

[3] الكواكبي: عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص ٦٤.

[4] الكواكبي: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، (٥٧- ٥٨).

القربى من المستبد بالفعل كالأعوان والعمال" والتمجد هو أن يتقلد الرجل سيفاً من قِبَـل الجبار يبرهن على أنه جلاد في دولة الاستبداد"وهو أن يصير الإنسان مستبداً صغـيراً في كنف المستبد الأعظم[1].

وقد عرض لنا القرآن الكريم ابرز نموذج مُعبر عن التجبر بسبب الوظيفـة أو المنصب وهذا النموذج هو (هامان)، وفي كثير من الآيات ذُكر اسـم هامـان مقترنـاً بفرعون فهو كان مقرباً له ومستشاره، وهذا يؤكد كلام الكواكبي السابق ذكره، الحكومة المستبدة تكون مستبدة في كل فروعها، وقد سبق الحديث عن فرعون الذي هو رمـز الجبابرة في الحكم والسلطة وعلى شاكلته كان وزيره.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [2]" وقال تعـالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [3].

وقد بينت كتب التفسير أن هامان كان وزيراً لفرعون، وقد بـالغ هامـان فـي طاعته لفرعون إلى أن وصلت لدرجة التجبر، ويظهر هذا عندما طلب فرعـون مـن هامان أن يبني له صرحاً ثم يقوم هو بدوره بتكليف الرعية بتنفيذ أوامر فرعون، وبذلك صار جبّاراً تلميذ جبار أكبر مما أدى به إلى العمى عن رؤية الحق.

لقد أطاع هامان فرعون طاعة عمياء، وقد وصلت به الطاعة إلى تأليه فرعـون واتباع تعليماته، وتنفيذ أوامره إلى أن أصبح من المفسدين في الأرض، وصار الحـاكم

---

[1] الكواكبي: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص ٦٦.

[2] سورة القصص، الآية (٨).

[3] سورة القصص، الآية (٣٨).

والحكومة كلها طاغية متجبرة وأفضل تعبير يمكن أن يصف هامان هو "إن وزير المستبد هو وزير المستبد لا وزير الأمة[1]".

وبهذا يكون هامان نموذجاً للتجبر بالوظيفة أو المنصب، وما أكثر النماذج المنسوخة عن هامان في واقعنا إن لم تكن مثل فرعون متجبرة مستبدة ظالمة هدفها المال والمنصب والبقاء على الكرسي خوفاً على الحياة، متناسين أن الكرسي والمال والمنصب والوظيفة والحكم والزعامة كلها زائلة وفانية.

العامل السادس: القوة الجسمية وكثرة العدد

وقد صور القرآن الكريم هذا بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۞ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[3]".

والقوة تكون حسنة إذا وظفت فيما يرضي الله وفي عمل الخير والحق، "أما حين تكون القوة بعيده عن الحق، وحين تنبعث من النفوس المستعلية، تصير سبباً من أسباب الطغيان والاستكبار، بل من أخطر الأسباب فهي تحمل أصحابها على نسيان أول بدهية من البدهيات، وهي أنهم خلقوا ليموتوا فبقدر ما ينشرون في الدنيا من الفساد فإنهم يهدمون من جانب آخر بنيانهم الإنساني، فيصبح الطيش طبيعتهم، والتجبر دينهم، فلا تزداد قلوبهم إلا قسوة، ومن هنا فهم أبعد ما يكونون عن أن يتأثروا بنصح ناصح أو وعظ واعظ، فتعميهم القوة عن كل شيء[4]".

---

[1] الكواكبي: عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص ٦٦.

[2] سورة فصلت، الآية (١٥).

[3] سورة سبأ، الآية (٣٤-٣٥).

[4] عباس: فضل حسن، القصص القرآني أبحاثه ونفحاته، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٧، ص ١٠٤.

وقد ذكر القرآن الكريم نماذج من الأقوام والأشخاص الذين اغتروا بقوتهم فعموا عن الحق، من هؤلاء قوم عاد، فقد وصف القرآن الكريم عاداً بأنهم قوم لم توجد قوة مثل قوتهم ولا في أي بلد، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾[1].

وقد دعاهم هود -عليه الصلاة والسلام- إلى الله وذكّرهم بأنه يجب أن يشكروا الله على هذه النعمة - نعمة القوة - بتوجيهها في الخير والحق، ولكنهم عصوا واستكبروا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [2].

ومن مظاهر تجبر قوم عاد أنهم أخذوا يستعرضون قوتهم وأخذوا يبطشون بمن حولهم قال تعالى على لسان هود -عليه السلام-: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۞ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۞ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[3].

فما كانت نهاية عاد التي اغترت بجبروتها إلا الدمار الساحق والهلاك.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۞ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۞ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [4].

وهناك نموذج آخر لمن اغتر بالقوة والعدد من الأقوام السابقة وهم أهل سبأ، قال تعالى على لسان ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۞ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ ۞ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۞ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا

---

[1] سورة الفجر، الآية (٦-٨).

[2] سورة فصلت، الآية (١٥).

[3] سورة الشعراء، الآية (١٢٨- ١٣٠).

[4] سورة الحاقة، الآية (٦-٨).

كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ۞ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[1].

وهذا شأن أهل الاستبداد والمترفين من الفجار والكفار، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ۞ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[2]

لقد أعلن القوم الاستعداد للوقوف في وجه سليمان بقوتهم وعددهم ولكن الله أراد المسالمة لأهل سبأ مع سيدنا سليمان عليه السلام.

وقد تكررت هذه السنة السيئة في قريش فقد وقفت بقوتها وجبروتها أمام الرسول -عليه السلام-، تستعرض قوتها قال تعالى مخاطباً أهل مكة: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[3]"

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾[4]

وأخيراً قوله: ﴿وَكَم أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾[5]

---

[1] سورة النمل، الآية (٢٩- ٣٣).

[2] سورة سبأ، الآية (٣٤-٣٥).

[3] سورة التوبة، الآية (٦٩).

[4] سورة غافر، الآية (٢١).

[5] سورة الزخرف، الآية (٦-٨).

فالسابقون من قوم نوح وعاد وفرعون وقوم لوط وقريش كل هذه الأقوام المذكورة وغير المذكورة تبين حال من يغتر بقوته وجبروته وهي عبرة للمعتبرين وذكّر إن الذكرى تنفع المؤمنين.

العامل السابع: الكبر

الكبر آفة تؤثر في النفوس والقلوب البشرية ويترتب عليها:

١- عدم رؤية الحق

٢- عدم الاعتراف به.

٣- عدم الاعتراف بالفضل لأولي الفضل.

٤- يمنع المتكبر من الرؤية الصحيحة لقدر نفسه[١].

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواطن عدة منها قوله تعالى:- ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [٢]. وقال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾.[٣] وقد أنكر قوم فرعون دعوة موسى عليه السلام مع أن نفوسهم أيقنت لها قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [٤].

إن الكبر هو السمة العامة للشخصية المتجبرة فالمتجبر يتكبر لأنه صاحب مال أو قوة أو أولاد، أو صاحب سلطة وحكم، وهذا فرعون يخاطب قومه قائلاً لهم: ﴿أَلَيْسَ

---

[١] بني عامر محمد أمين حسن، من فقه الدعوة أساليب الدعوة والإرشاد، الأردن – اربد، د.ط ١٩٩٩، ص ٢٩٩.

[٢] سورة القصص، الآية (٣٩).

[٣] سورة البقرة، (٨٧).

[٤] سورة النمل، الآية (١٤).

لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [1]. ولهذا حذر الإسلام من أدنى الكبر ولو كان مثقال ذرة. قال -عليه السلام-: **(لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ)** [2].

والإيمان يُربي في الإنسان أن يكون خلق التواضع لله ولرسوله بعيداً عن التكلف والتكبر، ولا يفهم من هذا أن التواضع يعني الضعف أو الذلة، وإنما يعني تربية الإنسان على التواضع بعزة وافتخار بحق، فالعزة تكون على الكافر والقوة والشدة، والتواضع للمؤمنين وشاهد ذلك قوله تعالى: (أذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين)[3]، وقوله تعالى: (أشداء على الكفار رحماء بينهم)[4]. ذلك لأن الله تعالى يحب الإنسان القوي المتواضع الجريء في قول الحق، كما يربي الإنسان على تهذيب نفسه للسير في طريق الخير، وهو الطريق المستقيم وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه فهو في عليين وما تكبر أحدٌ على الله وعلى الحق إلا وكان في أسفل السافلين، قال -عليه السلام-: **(مَنْ يَتَوَاضَعُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دَرَجَةً يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً وَمَنْ يَتَكَبَّرُ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً يَضَعُهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ)** [5].

كما يُربي النفس على السمو والأفضلية وتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة.

---

[1] سورة الزخرف، الآية (٥١).

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ٣٧، تحريم الكبر وبيانه، ص٦٦، رقم الحديث ١٤٧.

[3] سورة المائدة، الآية (٥٤).

[4] سورة الفتح، الآية (٢٩)

[5] أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع، ١٣٩٨/٢، رقم الحديث ٤١٦٦. وقال ابن ماجه في الزوائد اسناده ضعيف، ووثقه ابن معين، وقال ابو داوود وغيره: مستقيم، وضعفه أبو حاتم والنسائي والدار قطني.

العامل الثامن: الجهل بسبب عدم الإيمان.

الجهل عامل مهم يؤدي إلى التجبر وذلك لأن المتجبر يرد الدعوة ويصفها بالضلال والفساد، ومن آثار الجهل بالدين.

١- تأليب الناس على الدين والكيد له ويدل على ذلك موقف فرعون مع موسى الذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [١].

٢- ومن آثار جهالتهم قولهم للناس إن الملأ أولى بالرسالة لأنهم أكثر مالاً وأكثر نفراً قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ۝ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [٢]

٣- وكذلك إخبارهم الناس أن الرسل يريدون تحويل الناس عن دينهم وبهذا يعملون على الإفساد في الأرض، ولهذا سجل القرآن ما قاله فرعون عن موسى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [٣]

٤- استخفافهم بالمؤمنين[٤]

والجهل بالدين يؤدي إلى البطش والإرهاب وإيقاع الشبهات على الدعوة والداعية والمدعوين كما يؤدي إلى التجبر على الآخرين، والجهل بالدين سبب لكل معصية.

---

[١] سورة الأعراف، الآية (١٢٧).

[٢] سورة سبأ، الآية (٣٤- ٣٥).

[٣] سورة غافر، الآية (٢٦).

[٤] بني عامر محمد أمين: فقه الدعوة أساليب الدعوة والإرشاد، ص٣٠٠.

وأوجه الجهل عند الإنسان كثيرة منها، أنه يجهل قدر ربه وما يجب لـــه مـــن طاعة لحق ربوبيته وألوهيته وعظمته، ومن جهله أيضاً جهله بضرر الذنوب فينبغـــي للإنسان أن ينفر منها أشد من نفرته من العقرب ولكن من جهله يقبل عليها ويباشـــرها. ومن جهله أنهُ يؤثر العاجلة على الآخرة، فيؤثرون ما فيها من لذائذ على نعيم الآخـــرة. ومن جهله التسويف وطول الأمل وتأجيل التوبة، ولم يعلم أن الموت أقرب إلى الإنسان من شراك نعله، وإنه لا يستأذنه إذا حان الأجل، ومن جهله أيضاً أنـــه يتعـــب كثـــيراً لتحصيل لذائذ الدنيا وينسى الآخرة وما فيها من سعادة دائمة ونعيم مقيـــم، فـــهو يقـــدم الفانية على الباقية. ومن جهله اتكاله على عفو الله ورحمته ونسي أن رحمة الله قريبـــة من المحسنين وأن الذي يرجوا رحمة ربه فإنه يأخذ بداله بالأســـباب وينتظـــر رحمـــة الله[1].

[1] زيدان: عبد الكريم، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٠، ص ٤٠٧.

المبحث الثاني

أسباب التجبر وأمثله ذلك

المتجبرون ليسوا شكلاً واحداً وليست أهدافهم واحدة ولا وسائلهم، فهم أنماط متعددة وأشكال مختلفة. وكل نوع من الجبابرة اتخذ سبباً لتجبره متبعاً وسائل معينة لتحقيق هدفه من مال أو منصب ..... و من ناحية نفسيه اجتماعية تربوية فإن كل شخص يختلف عن غيره، مما يتيح لكل شخصيه تمايزها وذاتيتها، ويجعلها مختلفة عن بقية الشخصيات سواء من حيث طريقة التفكير أم السلوك. ولكل شخصية سماتها وخصائصها التي تحدد نقاط ضعف الشخصية وقوتها. فلكل متجبر أسباب دعته للتجبر. وفي هذا المبحث سأحاول التعرض لبعض أسباب التجبر وأمثله عليها من القرآن الكريم.

أولاً:- الجبروت بسبب سعة الملك وطول العمر، ونموذجه: (النمرود بن كنعان) في زمن إبراهيم عليه السلام الملك الذي ادعى الربوبية.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [1].

هذه الآية تحكي حواراً بين إبراهيم -عليه السلام- وملك في أيامه يجادله في الله، وهذا الملك كان منكراً لوحدانية الله في الألوهية والربوبية، وتصريفه للكون وتدبيره لما يجري فيه وحده، ومنكراً أن تكون الحاكمية لله فلا حكم إلا حكمه في شؤون الأرض وشريعة المجتمع، وهو ينكر ويتعنت لسبب كان ينبغي من أجله أن يؤمن، وهو أن آتاه الله الملك فكان ينبغي له أن يشكر ويعترف، والآية الكريمة بدأت بلفظ يدل على التشنيع

---

[1] سورة البقرة، الآية(٢٥٨).

والتفظيع والاستنكار . فبدأ الحوار بأن عرّف إبراهيم ربه بالصفة التي لا يشاركه فيها أحد، ولكن الذي حاج إبراهيم رد بأنه قادر على الإحياء والإماتة في قومه، فإذن هو الرب الذي يجب على إبراهيم أن يخضع له ويسلم بحاكميته، وإبراهيم لم يسترسل في جدل حول الإحياء والإماتة، لأنه وجد أن من يجادله عابثاً وليس جاداً إذ ما معنى أن يقتل شخصاً ويبقي الآخر فهذا ليس إحياء ولا أماته، فانتقل إلى تصريف الكون كله (فإن الله يأت بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) وهي حقيقة كونية وهي شاهد يخاطب الفطرة (فبهت الذي كفر). لأن الشمس حقيقة كونية مكرره، تطالع الأنظار والمدارك كل يوم ولا تتخلف ولا تتأخر وهي شاهد يخاطب الفطرة. فالتحدي قائم وكان الإيمان أجدر ولكن الكبر عن الرجوع إلى الحق يمسك بالذي كفر ولا يهديه الله لأنه لا يتلمس الهداية.[1]

فمن الآثار التربوية لسبب الملك أن نعم الله تعالى على الإنسان هي مدعاة إلى الشكر والإيمان، ليس العكس، مقابلة النعمه بالكفر والجحود والتجبر، وإن الابتلاء يذهب العجب والتكبر لأن هذا الملك لو كان فقيراً ما حاج إبراهيم في ربه، والنصر في النهاية لأوليائه، وإن المظاهر الكونية المرئية للعين دليل على الغيبيات وهذا مدعاة إلى الشكر والإيمان.

ثانياً:- التجبر بسبب الملك، والغنى والمال والمنصب الرفيع والعلم، ونماذجه: (فرعون، وقارون، وبلعام بن باعوراء حسب رواية الكثير من المفسرين).

١- فرعون، الذي غره الملك والسلطان فبغى وتجاوز كل الحدود فادعى الربوبية.

فمن صفات فرعون أنه يمثل نموذجاً من صنف الحكام الذين يتكرر وجودهم على الساحة البشرية. فهو يقف رمزاً للحاكم المستبد المغرور انطلاقاً من ضيق أفقه وعدم قدرته على رؤية الأمور من منظارها الصحيح، كما أنه في الوقت ذاته يمثل

---

[1] قطب: في ظلال القرآن، ٢٩٧/١.

الحاكم الأناني الذي قادته أنانيته إلى السعي وراء السيطرة المطلقة دون أدنى اكتراث للقيم الروحية والأخلاقية والإنسانية. والقصة القرآنية تذكر ظاهرة ادعاءه الألوهية ومحاولته لفرض ذلك بالقوة على الشعب، وظاهرة أن العظمة التي كان يشعر بها هي من جراء الطاعة العمياء له، وقد دفعت به إلى العمل على الحفاظ على مكانته وسلطانه بكل وسيلة، وكان أثر ذلك أن حشد الناس وادّعى بأنه الرب الأعلى ثم فشل بكل محاولاته ضد دعوة سيدنا موسى -عليه السلام- فزادَ طغيانه إلى أن جاءت نهايته[1].

وفرعون اشتهر بالطغيان والجبروت، فنازع الله في ملكه وادعى الربوبية وتمرد على الله وزعم أنه هو الإله المعبود من دون الله، وهو الذي أوقع في بني إسرائيل سوء العذاب، فسخرهم واستخدمهم في أخس الأعمال.

ولقد حدثنا القرآن الكريم عن فرعون وما قام به من أعمال تمرد فيها على الله ورسوله فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [2]. فالآية الكريمة تشير إلى الصراع بين الإيمان والكفر، وهي قصة واحدة متكررة في كل العصور مع اختلاف أبطالها من الطغاة والجبابرة ومن المؤمنين، ولكن الصراع واحد وشبهات الجبابرة والطغاة واحدة وكذلك النهاية واحدة. وقد استيقن فرعون أن موسى نبي وليس ساحراً، ولذا خاف إن همّ بقتله أن يعاجل بالهلاك.

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ

---

[1] النجاني، زاهية حسن، أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٣، ص ١٤٢.

[2] سورة غافر: الآية(٢٦).

الأَسْبَابَ ۞ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [1].

فالآية تشير إلى درجة التجبر والحقد عند فرعون بطلب بناء صرح عالٍ ليطلع إلى إله موسى، وقد كان مقصود فرعون أن يصد الناس عن تصديق موسى عليه السلام لكن ما فعله بات في خسران وهلاك، وذلك بأن أهلكه الله بالغرق في البحر، وهذا في الدنيا أما في الآخرة ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ فرد سوء مكرهم إليهم ورد العاقبة السيئة عليهم.[2] وقال تعالى:﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[3]".

وقال تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۞ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ۞ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ۞ فَكَذَّبَ وَعَصَى ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ۞ فَحَشَرَ فَنَادَى ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۞ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [4]

هذه الآيات تتناول الرسالة إلى فرعون من بدايتها إلى نهايتها في نقاط:-

١-التكليف بالرسالة إذ كلم الله موسى في الواد المقدس طوى.

٢- سبب التكليف: طغيان فرعون.

٣- أسلوب الدعوة: "فقولا له قولاً ليناً، لعله يتذكر أو يخشى".

٤- آيات ومعجزات لتصديق موسى -عليه السلام-: الآية الكبرى والعصا وغيرها.

٥- أهداف الدعوة :الهداية إلى الله وخشيته.

---

[1] سورة غافر: الآية(٣٥-٣٧).

[2] فريد: أحمد، تيسير المنان في قصص القرآن، دار ابن الجوزي السعودية، ط١، ١٩٩٠، ٣/٢٠٥-٢٠٨.

[3] سورة غافر، (آية ٤٦).

[4] سورة النازعات:الآية (١٥-٢٥)

٦-موقف فرعون : تراوح بين التكذيب والعصيان ثم السعي للقضاء على رسالة موسى عليه السلام ثم ادعائه الألوهية.

٧- النهاية الأليمة أخذه الله نكال الآخرة والأولى .[١]

من شخصية فرعون نستنتج أن الطاغية لا يبالي بالحدود التي يصل إليها لتكذيب دعوة الحق والدفاع عن باطلة، كما أنه لا تفيده التربية لأنه يعيش في إطار سلطانه ، المتمسك بالدنيا يلهو ويلعب ، يتفاخر ويتكاثر .....ولكن النهاية الرجوع إلى الله تعالى.

ومن آثار جبروت فرعون واستكباره وكل متكبر جبار ما يلي:

أولاً: عدم اعترافه بالحق.

ثانياً: غمط الناس واحتقارهم.

ثالثاً: صرف الناس عن دعوة الحق.

رابعاً: إن الكبر والطغيان حال بينه وبين أخلاق المؤمنين، لأن صاحب الطغيان لا يقدر أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، فلا يقدر على التواضع ولا على ترك الحقد والحسد، ولا على كظم الغيظ، فهو يغرس الرذائل في النفوس.

خامساً: الوقوع في الهلاك، فعاقبة الظلم وخيمة وفي الدنيا والآخرة، ففي الآخرة يمنع صاحبة من دخول الجنة.

سادساً: انتصار الحق وهزيمة الباطل.

---

[١] عوض: محمد عبد الرحمن السيد، الفرعونية كما صورها القرآن الكريم، د. ط، د. ن، ١٩٨٦،ص(١١٧).

٢- الذي غره الغنى وكثرة المال.

إن المال يمكن أن يهوي بصاحبة إلى الدرك الأسفل وأول هذه الدركات الشح ومثاله: ما حدث مع أصحاب الجنة في سورة ن: قال تعالى (إن بلغناهم..... طاغين) [١] . هذه الآيات تتحدث عن جماعة يملكون بستان كثير الثمر، وقد أقسموا أصحابه بأن يقطعوا ثماره في الصباح الباكر قبل حضور الفقراء لأخذ حصتهم ولا يتركوا لهم شيئاً، وفي الليل أصاب البستان جائحه سماوية أحرقته فأصبح كالليل المظلم وهم لا يدرون وفي الصباح عندما وصلوا إلى بستانهم ورآوا ما حل به ظنوا أنهم ضلوا الطريق وانه ليس بستانهم فلما أستيقنوا انه هو، قال بعضهم لبعض: قد حرمنا خيره، وقال أحدهم كان اعدلهم لائماً لهم: ألم أقل لكم حين تواطأتم حرمان الفقراء هلاّ تذكرون الله وتتوبون. فقالوا: ننزه الله تعالى عن الظل فيما فعل بنا، إنّا كنا طاغين، وأقبلوا يتناومون ويعترفون بذنبهم نادمين، يا ويلنا إنا كنا عاصين، عسى ربنا أن يعوضنا خيراً من بستاننا[٢]، ومن الآثار التربوية والدروس والعبر من هذا الموقف ما يلي:-

- أن ابتلاء الله للبشر قد يكون بإغداق النعم عليهم فيكفرون أو يشكرون وقد يكون بإنزال المصائب بهم فيجزعون أو يصبرون.
- إن هذه القصة تنبيه لكل ذي ثروة ومال بأن ماله ونفسه معرض لعذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة إن لم يواسي الفقراء والمساكين ولم يؤدي حقهم منه.
- اقتضت مشيئه الله تعالى أن يخفي زمان ومكان وأبطال القصة لأنه في أي زمان ومكان ومع أي من عباد الله إن كل من يمنح حق الفقير والمسكين يذهب الله عنه

---

[١] سورة ن، الآية (١٧-٣١).

[٢] طباره: عفيف عبد الفتاح، تفسير جزء تبارك، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٤، ص٣٧.

النعمة. فالآيات تبين لنا وتجنبنا أسباب زوال النعمة والحرص على حق الفقراء والمساكين[1].

وقارون من أبرز الأمثلة على الكبر والعجب والفساد والبغي بسبب المال.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۞ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ۞ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ۞ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾[2].

قارون: من عشيرة موسى وجماعته -عليه السلام-.

قال ابن عباس: كان ابن عم موسى عليه السلام (فبغى عليه) أي تجبر وتكبر على قومه واستعلى عليهم بسبب ما منحه الله من الكنوز والأموال[1]

أشار القرآن إلى أن الله تعالى أعطى قارون مالاً كثيراً وكنوزاً وافرة تملأ الخزائن، ولكنه استخدم المال في التجبر والبغي والتكبر والبطر الفساد فتنة للفقراء.

وقد أسكر المال والغنى قارون فعمى عن الحق، ولما طلب منه شكر الله على نعمته. وان يوظف المال في الخير لأن هذا المال لله. رد قائلاً ﴿ إنما أوتيته على علم

---

[1] الشعراء: محمد متولي، سورة الكهف، دار أخبار اليوم، قطاع الثقافة، مصر، د. ط. ١٩٩٧، ص ٣١.

[2] سورة القصص:الآية(٧٦-٨١).

عندي﴾فحقت على قارون سنة الله، وحل به غضبه فكان ماله سبباً في هلاكه وعذابه فخسف الله به وبداره وماله وكنوزه الأرض، حيث انشقت الأرض وابتلعت قارون وما يملك ولم يجد قارون من ينصره ويدافع عنه ولم تنفعه أمواله .[1]

وهذا يربي في النفس الإنسانية أن المال فتنة وابتلاء وامتحان. وكثرة المال لا تدل على محبة الله للعبد وتفضيلة، وأن أساس القبول عند الله هو الإيمان والتقوى، وأن المال ليس مظهر تكريم بل قد يكون مظهر إهانة، وضعف الوازع الديني يقود إلى الانخداع بالمظاهر الدنيوية الزائفة، وهذه دعوة للزهد بالدنيا والاستعلاء عليها والسعي للدار الآخرة ولكن لا ننسى نصيبنا من الدنيا بحيث لا تكون أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، لأن الدنيا مصيرها الفناء والزوال وأن ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا.

وصاحبة الجنتين دليل آخر على الغرور المالي والشرك والكفر بسبب المال قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ۝ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ۝ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [2]. هنا يلفتنا الحق سبحانه وتعالى إلى أن الجنتين أعطتا صاحبها بالأسباب فلأنه زرع وحرث وسقا واعتنى أعطته الرزق الوفير. فكأن الأرض لم تظلمه، اخذ بالأسباب فأعطته الأسباب. والله تعالى يريد أن يلفتنا ان نعبده وحده وأن نعرف أنه إذا كانت هناك أسباب موجوده في الدنيا فإن يد الله ممدوده بالإسباب والحق سبحان وتعالى يرينا ماذا يفعل الغرور

---

[1] ابن عباس: تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص ٣٣٠.

[2] الخالدي:صلاح عبد الفتاح، مع قصص السابقين في القرآن، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٨. ١٤٦/١.

[3] سورة الكهف، الآية (٣٢-٣٦).

البشري حين يدخل النفس فيقول: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ۝ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ۝ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۝ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾. فصاحب الجنتين يتفاخر على محدثه بأنه أكثر منه مالاً كأنما هو الذي رزق نفسه بهذا المال وبأنه اثر أولاداً وكأن ما هو الذي جاء بهؤلاء الأود، فأوقع نفسه بالظلم ونسب لنفسه قدرات الله تعالى وتجاوز بغروره إلى ان قال تعالى بلسان حال صاحب الجنتين: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾. فأنكر القيام والبعث لأنه يعيش نعيم الدنيا. فالذي يقلق الناس ويؤرقهم في الدنيا هو الخوف من شيئين: إما أن تزول عنه النعمة، وإما أن يزول هو عنها. إن كان غنياً يصبح فقيراً وإن كان صحيحاً معافى يصبح مريضاً. فصاحب الجنتين أراد أن يمنيّ نفسه بأن هذا لم يحدث له. ولما ذكر بالقيامة والبعث قال انه حتى إذا جاء البعث فسيعطيه الله نعماً اكبر لأنه أعتقد أن نعيم الدنيا دليل على رضا الله تعالى على العبد وأن من هو منعم في الدنيا، منعم في الآخرة، وهذا غير صحيح. ثم يقول تعالى لمن أعماه غروره بالمال: وأحيط ..... أحد) [1]. فغار الماء وضاع الثمر، ليعلم صاحب الجنتين على شاكلته أن كل ما يملكه الإنسان ليس من عنده ولا بقوته

---

[1] سورة الكهف، الآية (٤٢).

وإنما كان من عند الله وبإرادته[1]. ومن الآثار التربوية التي تحمل تحت طيات هذه الأهداف ما يلي:

- الأسباب تحمل مشيئة المسبب والإنسان السطحي هو الذي يقف عند الأسباب أما المتعمق فيقف عند المسبب.
- الله تعالى يمنع عن بعض الناس المال فيعتقدون أن هذا حرمان أو عدم استجابة لطلبهم إياه، بينما المنع في الحقيقة هو عين العطاء لأن المال كان سيفسدهم، وإذا كان العطاء من حكمي، فأعلم أن لكل شيء حكمه، فالعطاء قد يكون شراً والمنع قد يكون العطاء الأوسع[2].
- التحذير من الاغترار بالحياة الدنيا: فالاغترار بالدنيا أكبر البواعث التي تبعث على الفتن ولا سبيل للنجاة من الاغترار بالدنيا إلا بمعرفة سرعة زوالها، فقال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [3].
- أن فتنه الإنسان بالأموال والأولاد كبيرة وخطيرة فقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [4] وسبيل النجاح من فتنه الأموال والأولاد إنزالهما سلوكاً وعملاً في منزلهما الذي وضعهما الله فيه فالإسلام لم يحرم الزينة ما دامت في حدود الله[5]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ

---

[1] الشعراوي: سورة الكهف، ص ٣٩.

[2] الشعراوي: سورة الكهف، ص ٤٢.

[3] سورة الكهف: الآية (٤٤-٤٥).

[4]

[5] طهماز: عبد الحميد محمود، العواصم من الفتن في سورة الكهف، دار المنارة والقلم، بيروت، دمشق، ط١، ١٩٨٧، ص ٧٦.

ومن يفعل ذلك فأولائك هم الخاسرون﴾ [1]. وقال تعالى: ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك وخير أمل﴾ [2].

الدرك الأسفل للنفاق بسبب المال كما في قصة من عاهد الله في سورة التوبة، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [3]. هذه الآيات تروي لنا أن ثعلبه بن حاطب قال يا رسول الله أدعوا الله أن يرزقني مالاً. فقال -صلى الله عليه وسلم-: (يا ثعلبه قليل تؤدي خيرٌ من كثيرٍ لا تطيقه) فراجعه وقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فدعا له، فاتخذ غنماً، فنمت كما ينموا الدود حتى ضاقت بها المدينة، فنزل وادياً بها، فجعل يصلي الظهر والعصر ويترك ما سواهما، ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات إلا الجمعة ثم ترك الجمعة، وسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عنه، فأخبر بخبره فقال: يا ويح ثعلبه، يا ويح ثعلبه، فنزل قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقه﴾ فبعث إليه رجلان فقال: مرا بثعلبه وخذا صدقاته، فعند ذلك قال لهما: ما هذه إلا جزية أو اخت الجزية، فلم يدفع لهما الصدقة فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. فقيل له قد انزل الله فيك كذا وكذا، فأتى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وسأله أن يقبل صدقته فقال إن الله غني عن قبول ذلك، فجعل يحثي التراب على

---

[1] سورة المنافقون، الآية (٩).

[2] سورة الكهف، الآية (٤٢).

[3] سورة التوبة، الآية (٧٥-٧٧).

رأسه، ثم أتى أبو بكر بصدقته فلم يقبلها، ثم عمر فلم يقبلها، ثم عثمان فلم يقبلها، وهلك ثعلبه في خلافه عثمان[1].

فهذا نموذج من المنافقين. فمنهم من عاهد الله لئن أنعم الله عليه ورزقه ليبذلن الصدقة، وليصلحن العمل، ولكن هذا العهد كان في وقت فقره وعسرته، وفي وقت الرجاء والطمع، فلما استجاب الله له ورزقه نسي عهده، وتنكر لوعده، وأدركه الشح والبخل فقبض يده وتولى معرضاً عن الوفاء بما عاهد، فكان هذا النكث بالعهد مع الكذب مع الله فيه سبباً في التمكين للنفاق في قلبه والموت مع هذا النفاق ولقاء الله به[2].

رغم تلك النماذج الدالة على التجبر بسبب المال والهوى إلى الدرك الأسفل بسبب الغرور المالي إلا أن القرآن الكريم يعطينا درساً تربوياً لصورة جميلة للمال ترفع صاحبه في معارج التقوى إلى أن يصل المسلم إلى مرتبة الأتقى ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [3]. أي سيكون بعيداً من النار الذي يتقي الله ويخافه، قال ابن عباس هو أبو بكر –رضي الله عنه–، نزحزح عن دخول النار، فهذا الأتقى هو ﴿الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ أي يطلب أن يكون عند الله زاكياً ولا يطلب بذلك رياءً ولا سمعه، بل يتصدق به مبتغياً به وجه الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿وما لأحدٍ عنده من نعمة تجزى﴾، فهو ليس يتصدق ليجازى على نعمه إنما ابتغاء وجه ربه الأعلى[4].

وبعد البحث تبين أن المقصود بهذه الآيات هو أبو بكر الصديق والله اعلم.

---

[1] الرازي: التفسير الكبير، ١٠٥/١١.

[2] قطب: في ظلال القرآن، ١٦٧٨/٣.

[3] سورة الليل، الآية (١٦-٢١).

[4] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٨٩/٢٠.

٣- التجبر بسبب العلم.

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[١]

فقد أشار سيد قطب رحمه الله في ظلاله إلى أن (بلعام) إنسان آتاه الله آياتـــه ، وخلع عليه من فضله وكساه من علمه، وأعطاه الفرصـــة كاملـــة للـــهدى والاتصـــال والارتفاع ...ولكن هاهو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخاً، ينسلخ كأنما الآيات اديـــم لـــه متلبس بلحمه؛ فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة ...هاهو ذا ينسلخ مـــن آيـــات الله ويتجرد من الغطاء الواقي والدرع الحامي، وينحرف عن الهدى ليتبع الهوى ويهبط من الأفق المشرق فيلتصق بالطين المعتم، فيصبح غرض الشيطان لا يقيـــه منـــه واق ولا يحميه منه حام فيتبعه ويلزمه ويستحوذ عليه، ثم إذا هو ممسوخ في هيئة كلب يلهث إن طورد ويلهث إن لم يطارد...فهذا المخلوق هبط من مكان الإنسان إلى مكان الحيـــوان وانحط إلى أسفل السافلين .[٢]

فهذا رجل م بني إسرائيل أوتي علماً ببعض كتب الله تعالى وبعض كتب التفسير تشير أنه كان يعلم أسم الله الأعظم ويدعوا به، فانسلخ منها كإنسلاخ الجلد مـــن الشـــاه والخروج منها بالكلية بأن كفر بها ونبذها وراء ضهره فقال تعالى: ﴿فانسلخ منها﴾ ولـــم يقل فانسلخت منه. (فأتبعه الشيطان) أي لحقه وأدركه وجعل الشيطان تابعاً لـــه بعدمـــا كان هو تابع للشيطان فصار في زمرة الضالين الراسخين في الرواية. وهناك بعـــض كتب التفسير تروي بأنه دعا على موسى –عليه السلام– فاندلع لسانه. فقال قد ذهبـــت مني الدنيا والاخرة ولم يبقى إلا المكر والحيلة. (قد يكون هذا من الإسرائيليات.).

وقوله: ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾. أي لو شئنا لرفعناه لمنازل الأبرار بسبب تلـك الآيات والعمل بما فيها (ولكن أخلد إلى الأرض) أي ركن إلى الدنيا ومال إليها ظناً أنـــه

---

[١] سورة الأعراف، الآية (١٧٥).

[٢] قطب: في ظلال القرآن، ١٣٩٦/٣.

سيخلد في الأرض. (وأتبع هواه). في إثار الدنيا وأعرض عن تلك الآيات الجليلة. فمثله كمثل الكلب، أي صفته كصفة الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فهو دائم للهث في كل حال إلى أن هلك[1].

فالقرآن يحض الأمة على المحافظة على النعمة فيقول المولى عز وجل: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[2]

كثر هم المتجبرون في الأرض الذين يعلمون حقيقة دين الله ثم يزيغون عنها، فهذا يدعي الألوهية وذاك يدعي الربوبية، وآخر يطغيه المال، وهذا يبطره العلم حتى يهوي به إلى الدرك الأسفل فيكون فيه كالكلب. فما يكون هذا إلا مصداقاً لنبأ الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها كما تنسلخ الشاة من جلدها بأن كفر وأعرض عنها ثم أصبح الشيطان تابعاً له بعد أن كان هو يتبع الشيطان.

وهذا يؤكد بأن الأعمال بخواتيمها: وقد قال رسول الله -صلى الله عليه سلم-: **(إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)**[3].

ومثل هذا السامري الذي غرق نفسه في الظلال وكان شيطاناً مريدا أغوى نفسه وأغرق في الغواية وصنع لقومه من حليهم عجلاً جسداً له خوار: أي صوت. قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۝ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[4] فكان الجزاء في الدنيا ولعذاب الآخرة اشد وأقوى.

---

[1] الألوسي: روح المعاني، ١١٢/٩.

[2] سورة إبراهيم آية (٧).

[3] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، رقم الحديث ١٦٣.

[4] سورة طه، الآية (٨٨-٨٩).

فقد ينسلخ الإنسان من العلم حتى يهوي إلى وادٍ سحيق من الشرور والأثام يبلغ دركاً يكون فيه شراً من الشيطان كما اخبر الله تعالى عن بلعام (فأتبعه الشيطان) وحتى يبدو في حقارته انجس الحيوانات في أخص أوصافه (فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث).

وقد يكون العلم سبباً في الشرك المدمر كما فعل السامري فقد هلك واهلك معه بني إسرائيل من عبدوا العجل (وقالوا هذا إلهكم وإله موسى).

واعلم يمكن أن يرقى بالإنسان إلى عليين حتى يعلوا بهم على الملائكة كما كان آدم -عليه السلام-، وإلى الملك كيف رفع يوسف -عليه السلام-، وإلى مقام يصبح فيه النهي من أولي العزم تلميذاً أو طالب كما فعل موسى مع الخضر كما إن العلم سبيل الخشية من الله. قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾. وبالعلم تتجلى آيات القرآن العظيم في الصدور قال تعالى: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ والعلم وسيلة الصالحين في إصلاح الجاهلين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [1].

ثالثاً:- التجبر بسبب العتو والتمادي في الطغيان والتكذيب لسيدنا صالح -عليه السلام-.

قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ

---

[1] سورة القصص، الآية (٨٠).

اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۞ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۞ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [1].

أضيفت الناقة إلى الله (هذه ناقة الله). وهي إضافة تشريف وتكريم للناقة لأنها خاصة في خلقها ووجودها بينهم، فقد كان قوم ثمود اهل مواشٍ كثيرة وأهل زرعٍ ولكنهم كفروا بنعم الله فأرسل الله عز وجل لهم رسولاً يعرفون صدقه وامانته وهو صالح -عليه السلام- فدعاهم وذكرهم ووعظهم وأمرهم ونهاهم، ولكن كانوا كغيرهم من السابقين وكفروا بدعوته.وجعل الله مع صالح -عليه السلام- آية بينه دليلاً على نبوته وهي (الناقة) وهي خاصة في بخلقها وصفاتها وذكرهم أنها تاكل في الأرض وحذرهم من مسها بسوء، قال الله تعالى: ﴿هذه ناقة الله لكم آية تذروها تأكل في أرض الله﴾ [2] وقال: ﴿ولا تمسوها بالسوء فيأخذكم عذاب أليم﴾. وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الناقة لها يوم للشرب وللقوم يوم آخر وعليهم الاّ يمسوها بسوء، فما كان رد قومه إلا كما قال تعالى: ﴿قالوا إنما انت من المسحرين﴾. ولم يكتفي القوم بهذا بل توجهوا إلى أتباع سيدنا صالح بتشكيكهم فيما اختاروه فقال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۞ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [3]. اما الناقة رغم التحذير الشديد من إيذائها لكنهم أقدموا عليها

---

[1] سورة الأعراف، الآية (٧٣-٧٨).

[2] سورة الأعراف، الآية (٧٣).

[3] سورة الأعراف، الآية (٧٥-٧٦).

وعقروها والذي عقرها هو واحد وهو أشقاها، قال تعالى: ﴿إذا انبعث أشقاها﴾. وقال تعالى: ﴿فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر﴾.

وروى أحمد في مسنده أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه "ألا أحدثكم بأشقى رجلين ؟ قلنا بلى يا رسول الله. قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه، يعني قرنه حتى تبلّ منه هذه". يعني لحيته[1].

وأحيمر تصغير أحمر عاقر الناقة، وهو أشقى القوم، قال تعالى: ﴿إِذِ انۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾[2] وهو كما قال ابن كثير : (قدار بن سالف) وهو الذي قال تعالى عنه: ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [3] وهو أشقى القوم، وأما علي فيضرب على قرن رأسه فينزل الدم منه وتبلّ لحيته.

ولم يكتف قوم صالح بعقر الناقة ولا باتهامه بالسحر، وإنما تآمروا على قتله ولكن بعد مضي ثلاثة أيام على عقر الناقة أخذتهم الصيحة، فكانوا كهشيم محتضر وهذه الصيحة نتج عنها رجفة وبهذا انتهى قوم ثمود وذهبوا من الوجود[4].

وقال تعالى: ﴿فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا﴾ [5]. أي أهلكم الله ودمرهم بسبب إجرامهم وطغيانهم. قال الخازن: الدمدمة هي: هلاك باستئصال والمعنى أطبق

---

[1] ابن حنبل: أحمد بن محمد، المسند، تحقيق علي عبد الله المنتقي، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، د. ط،١٩٧٩، ٢٦٣/٤. وقال احمد شاكر: اسناده صحيح، ١٣٦/١٤.

[2] سورة الشمس، آية (١٢)

[3] سورة القمر، آية (٢٩).

[4] الخالدي: مع قصص السابقين في القرآن، ٢٩٠/١.

[5] سورة الشمس، آية (١٤).

عليهم العذاب فلم يفلت منهم أحد وقد سوى في العقوبة بين الصغير والكبير والغني والفقير[1].

إنه مشهد مفزع ومفجع (الصيحة). فهي رد على التعالي والتكبر وكل متجبر طاغٍ عاتٍ متمرد.

ومن الآثار التربوية لقصة سيدنا صالح ما يلي:

- ان يبذل الداعية مع المدعوين أقصى ألوان الترغيب والترهيب وهو يدعوهم إلى عبادة الله تعالى والمداومة على الدعوة دون يأس أو ملل أما الترغيب فيدعوا إلى شكر الله على النعم كما فعل سيدنا صالح قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [2]. والترهيب يكون بالتحذير من الكفر والعصيان، قال تعالى: ﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾.
- العقلاء يعتبرون بآثار الظالمين، ويربئون بأنفسهم عن أن يسلكوا سلوكهم.
- أن الإيمان إذا خالط بشاشة لقلوب وأستقر في النفس ولد فيها الشجاعة والقوة والإقدام والصراحة، وهذا واضح في القلة المؤمنين التي قالت بشكل شجاعة وثبات قال تعالى: ﴿إنا بما أرسل به مؤمنون﴾ [3][4].

---

[1] الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، لباب التأويل في معاني التنزيل ومعه تفسير البغوي، معالم التنزيل، صححه عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بروت – لبنان، ط١، ١٩٩٥، ٤٣٧/٦.

[2] سورة الأعراف، الآية ٧٤.

[3]

[4] طنطاوي: محمد، القصة في القرآن الكريم، ١/ ١١٤.

رابعاً:- التجبر بسبب القوة الجسدية وكثرة العدد والعده.

اقتضت حكمة الله أن يكون البيت الحرام أول بيت يودع في الأرض للعبـــادة وخصص لها أن يكون مباركاً وهدىً للعالمين، وفيه آيات بينات على انه مقام إبراهيـــم –عليه السلام- وهو بمثابة المن لكل خائف وليس هذا لمكان آخر فـــي الأرض، قـــال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [1] وقد جعل الله للبيت من العز والشرف والعظمة ما أذل به أهـــل الأرض حتى تقصدهم عظماء الملوك ورؤساء الجبابرة، فيكونوا في الـــذل والمســـكنة كآحاد الناس. وقد بنى الكعبة المشرفة إبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام- ليكون رمـــزاً لحقيقة التوحيد في التوجه إلى الله. قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۞ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [2]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [3]، فكان لهذا البيت المزيه والاختصاص على غيره ما أوجب لـــه

---

[1] سورة آل عمران، الآية ٧٦-٧٩.

[2] سورة الحج، الآية ٢٦-٢٧.

[3] سورة البقرة، الآية ١٢٧.

الاصطفاء والاختيار[1]. وتروي لنا كتب التفسير والسير قصة محاولة هدم الكعبة على يد المتجبر أبرهة الأشرم ذلك أنه كان ملك لليمن وبنى كنيسة بصنعاء، وسماها القليس وأراد أن يصرف حج العرب إليها. كما يحج إلى الكعبة بمكة، فغضبت قريش لذلك كثيرا وأججت ناراً وحملتها الريح وأحرقتها، فحلف أبرهة ليهدمن الكعبة حجراً حجرا. فخرج ومعه فيل اسمه محمود وكان قوياً وعددا آخر من الفيلة، فلما بلغ قريباً من مكة خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث الأموال ليرجع، فأبى وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه إلى جهة الكعبة لم يبرك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى جهات أخرى هرول. ثم أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فجلس عبد المطلب إلى الملك فقال أبرهة أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ؟ قال عبد المطلب إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً يحميه فرد عليه إبله وعاد إلى قريش وأخبرهم عن أبرهة[2].

أما أبرهة فقد وجه جيشه وفيله لما جاء له ، فبرك الفيل دون مكة لا يدخلها ثم كان ما أراد الله من إهلاك الجيش وقائده، فأرسل عليهم جماعات من الطير تحمل حجارة من طين وحجر فتركتهم كأوراق الشجر الجافة الممزقة ...وأصيب أبرهة بجسده. وهذه حادثة ثابتة أن الله قد حبس الفيل عن مكة في يوم الفيل قال النبي –صلى الله عليه وسلم –**(مَا خَلأَتْ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ)**.[3]

وبذلك انتهت شخصية أبرهة الأشرم من الوجود، وهذه الحادثة تربي في الإنسان أن من أراد بالكعبة الشر فإن الله يرد شره إلى نحره، والعاقبة سترد عليه وما

---

[1] المرصفي: سعد، الكعبة مركز العالم، مؤسسة الريان، بيروت – دمشق، ط٢، ٢٠٠٠، ص ١١.

[2] ابن هشام: السيرة النبوية، ١/٧٧-٨٨ بتصرف.

[3] أخرجه البخاري في صحيحة: كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط رقم الحديث ٢٥٢٩.

حدث مع أبرهة ما هو إلا عظة وعبرة للناس بأن من يتعدى حرمات الله سينقلب تعديه على رأسه.

الجوانب التربوية لحادثه أبرهة الأشرم ما يلي:

١- الغرور الذي يقع فيه الظلمة والمتكبرون فهم يعلنون على الله الحرب في أقوالهم وأفعالهم والله لهم بالمرصاد.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [١]".

٢- بيان عاقبة الظلمة والمتجبرين في الأرض، فالله يجعل كيدهم في نحورهم ويدفع عن الأمة شرورهم كما فعل بأبرهة وجيشه.

٣- قدرة الله على الانتقام من أعدائه، فلله جنود السموات والأرض، فالله القادر سلط على أبرهة من جنوده طيراً أتتهم من كل جهة وأحاطت بهم من كل ناحية وقذفتهم بحجارة صغيرة من طين متحجر كأنها رصاصات ثاقبة لا تصل إلى أحد إلا قتلته، فتجعله كورق الشجر الذي عصفت به الريح ورد الله كيدهم في نحورهم.

٤- ينبغي لأصحاب العقول النيرة والأفكار السليمة الاعتبار فيما مضى من قصص الغابرين. فالعاقل من تعظ بغيرة.

٥- أن هذا الحادث زاد في مكانة مكة الدينية والتجارية والمحافظة على تلك المكانة الرفيعة ومحاربة كل من ينتقص منها أو الاعتداء عليه.

٦- أن هذا الحدث هو حدث تاريخي وفاتحة خير على العرب عامة وقريش خاصة. فأصبحوا يؤرخون بها حوادثهم. فمهدت السبيل لقبول الدعوة الإسلامية[٢].

---

[١] سورة إبراهيم، الآية (٤٢)

[٢] الخربوطلي: علي حسني، تاريخ الكعبة، دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٩٧٦، د. ط، ص ٩٠.

خامساً:- التجبر بسبب الجاه والسلطة.

١- أبو لهب: عبد العزى بن هاشم وكني أبا لهب لإشراق وجهه، وهو عدو الله ورسوله. الذي اتصف بشدة العداء لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكان يترك شغله ويتبع الرسول -صلى الله عليه وسلم- ويصد الناس عن الإيمان به، فكان يرمي القذر على بابه وزوجته كانت تشاركه عمله وتسب الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتتكلم فيه بالنمائم وقد توعده الله بالآخره بنار موقدة يصلاها ويشوى بها وقرنت زوجته بها في ذلك وأختصتها بلون من العذاب الشديد يكون حول عنقها من حبلٍ من ليف تجذب به في النار زيادة في العذاب[١].

قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [٢].

خص أبا لهب بذكر اسمه في القرآن دون بقية الكفار لأنه عم الرسول -صلى الله عليه وسلم- وكان أشد الناس عداءً له مع أنه كان أولى به أن يحمي ابن أخيه ويسانده ولكن سيحل به عذاب آليم في الآخرة ولن تنفعه القرابة.

هذه الآيات الكريمات بدأت بالدعاء على أبي لهب بالهلاك، وأن ماله لم يغن عنه ولم يدفع عنه الهلاك والدمار، وفي الآخرة سيصلى ناراً ذات لهب وستصلاها معه امرأته، لأنها كانت تحمل الحطب وتلقيه في طريق الرسول عليه السلام لإيذائه، سواء كان المقصود بالحطب المعنى الحقيقي الشوك أو المعنى المجازي أي كناية عن حمل

---

[١] ابن هشام: عبد الملك، السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت - ط١، ١٩٩٥، ١٤٤/١.

[٢] سورة المسد، اية (١-٥).

الشر والسعي بالأذى والوقيعة، فجزاؤها في الآخرة من جنس عملها ثم هذه النار سيصلاها أبو لهب وامرأته[1].

أما سبب نزول هذه الآيات أن النبي عليه السلام **(صعدَ الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ يَا صَبَاحَاهْ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ قَالُوا مَا لَكَ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي قَالُوا بَلَى قَالَ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ)** [2].

أما ما توعد الله به أبا لهب وامرأته من هلاك ودمار فإنه ليربي فينا أن جزاء الكيد لدعوة محمد الهلاك شأن أعداء كل الأنبياء. فالجبابرة يستكبرون ويطغون ويستهزؤون بكل الأنبياء بل ويحقرونهم كل هذا من أجل عرض دنيوي زائل وهم أُناس قست قلوبهم وعميت عقولهم وعيونهم عن رؤية الحق فويل لهم في الدنيا والآخرة.

ويمكن تلخيص ما قام به أبو لهب ضد الدعوة فيما يلي:

١- كان يدفع الناس ويصرفهم عن رسول الله ويمنعهم من الإيمان به ويقول إنه ساحر فينصرفون عن لقائه لأنه كان شيخ القبيلة وكان لها كالأب.

٢- كان يضرب على كتف كل واحد بيده ويقول انصرف عن محمد راشداً فإنه مجنون.

٣- كان يرمي رسول الله بالحجارة على عقبية ويقول لا تطيعوه فإنه كذاب.

٤- كان يرمي القاذورات والشوك على باب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأنه كان جاراً له فكان الرسول عليه السلام يطرحه ويقول: يا بني عبد مناف أي جوارِ هذا وكانت تشاركه في ذلك زوجته[3].

---

[1] قطب: في ظلال القرآن، ٦/٤٠٠٠.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسر القران، باب قوله عن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد، رقم الحديث (٤٤٢٧).

[3] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/٢٣٢.

٢- الوليد بن المغيرة.

هو الوليد بن المغيرة المخزومي عم أبي جهل كان من عظماء قريش، وفي سعة من العيش، أنعم الله عليه بنعم الدنيا من المال والبنين، وأغدق عليه في الرزق، فكفر بنعم الله وقابلها بالجحود[١]. فأنزل الله تعالى فيه في سورة (ن) ولا تطع كل حلاف مهين.

وقد اجتمع إلى الوليد بن المغيرة نفر من قريش وكان ذا سند فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش ،إنه قد حضر الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ،فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، قالوا: نقول كاهن ؛ قال: لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بكاهن.قالوا:نقول مجنون؛ قال: ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بمجنون.قالوا:شاعر: قال: وما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه..فما هو بشاعر .قالوا: نقول ساحر :قال ما هو بساحر فقد رأينا السحّار فما هو بالسحر. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله عن لقوله لحلاوة، إن أصله لغدق، وإن فرعه لجناً. فما انتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل فنقول: جاء بقولٍ هو سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته ....فتفرقوا عنه بذلك ،فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ،لا يمر أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره فأنزل الله قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ [٢].أي خصيما وقال ابن هشام:عنيد:

---

[١] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٩/ ٧٠-٧١.

[٢] سورة المدثر، الآية (١١-٢٦).

أما موقفه من القرآن فكان عندما يتلى عليه يقول مستهيناً وساخراً: أنه خرافات وأباطيل المتقدمين أختلقها محمد ونسبها إلى الله، فردّ المولى عز وجل متوعداً له بالعذاب (سنسمه على الخرطوم) أي سنجعل له علامة على أنفه بالخطم عليه يعرف به إلى موته على سبيل الاحتقار[1].

إن شخصية الوليد بن المغيرة تمثل الزعيم والقيادي المنظم لشؤون قومه الذي يعاند الحق الذي جاء به الرسول عليه السلام، ويدفع القوم لاتهامه بالجنون والكهانة والشعر والسحر، والوليد مقتنع في نفسه أن هذه الاتهامات باطلة وكاذبة، ولكنه مع ذلك يرى أنه لا بد من إلصاق تهمة للرسول عليه الصلاة السلام لكي لا ينتشر الدين بين الوفود القادمة .

٣- أبي بن خلف بن وهب بن حذافه بن جمح، وعقبة بن أبي معيط الجار الثاني لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وما نزل بهما.

كان عقبة قد جلس إلى الرسول عليه الصلاة السلام وسمع منه ،فبلغ ذلك أبي بن خلف فأتى عقبة فقال له: ألم يبلغني انك جالست محمداً وسمعت منه !وجهي من وجهك حرام أن أكلمك -واستغلظ من اليمين- إن أنت جلست إليه أو سمعت منه أو لم تأته فتتفل في وجهه ففعل ذلك عدو الله عقبة بن معيط لعنه الله فأنزل الله قوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۝ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً ۝ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ [1] ومن الآثار التربوية لهذه الآية:

١-فظاعة أمر الظلم وبيان عاقبة الظالم وتحسره على ما فرط في جنب الله وندمه على مفارقه طريق الرسول واتباع سبيل غير سبيله.

---

[1] الصابوني: محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، د. ط، ١٩٨١، ٤٢٦/٣.

٢- النجاة يوم القيامة تكون بمتابعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- والسير على نهجه.

٣- أثر الصحبة الصالحة تنعكس على الفرد بالصلاح، والفاسدة تنعكس عليه بالفساد. دليل ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: **(مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً)**[٢].

٤- عداوة الشيطان للإنسان. قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [٣].

أما موقف أُبي خلف من البعث أنه مشى إلى الرسول عليه السلام بعظمٍ بالٍ، فقال: يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعدما أرم ، ثم فته في يده ،ثم نفخه في الريح نحو الرسول عليه السلام.فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :نعم،أنا أقول ذلك يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا . ثم يدخلك النار.[٤] فأنزل الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [٥]

وهناك موقف آخر يدل على عداوته للنبي -صلى الله عليه وسلم- وهو ما يلي:-

بينما النبي -عليه السلام- يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبه بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو

---

[١] سورة الفرقان، الآية (٢٧-٢٩).

[٢] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، رقم الحديث (٤٧٦٢).

[٣] سورة فاطر، الآية(٦).

[٤] ابن هشام: السيرة النبوية، ٣٩٩/١.

[٥] سورة يس، الآية (٧٨-٨٠).

بكر حتى أخذ بمنكبيه ودفعه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[1][2].

٤- أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيره المخزومي القرشي.

من مواقف أبي جهل من الدعوة أنه كان يوماً جالساً في قومه فقال: يا معشر قريش، إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا، وشتم آلهتنا،... وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله فإذا سجد في صلاته رضخت به رأسه، وليصنع بنو عبد مناف بعد ذلك ما بدا لهم ،قالوا :والله لا نسلمك لشيء أبدا، فامضي لما تريد...فقام الرسول عليه السلام يصلي وقد غدت قريش تنتظر ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله، احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً مرعوباً قد يبست يداه على الحجر حتى قذف الحجر من يده. فقالوا له:ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمت لفعل ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل ما رأيت والله مثله ولا مثل أنيابه . فهمّ بي أن يأكلني. وأنزل الله في هذا قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۝ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ۝ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ۝ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۝ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[3] [4].

---

[1] سورة غافر، الآية (٢٨).

[2] الخضري: محمد الخضري بك، نور اليقين من سيرة سيد المرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم-، دار الإيمان، د. ط ١٩٨٨، ص ٤٦.

[3] سورة العلق، الآية(٩-١٩).

[4] ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٩٥/١.

ومن مواقفه أيضاً: ما ذكر في موضوع إلحاق الأذى الجسماني –إلقاء القاذورات–.

٥- النضر بن الحارث بن علقمه بن كلده بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي.

من مواقف النضر بن الحارث أنه كان إذا جلس رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مجلساً ودعا به إلى الله تعالى، وتلا فيه القرآن وحذر قريشاً مما أصاب الأمم السابقة ،خلفه في مجلسه إذا قام النظر بن الحارث فحدثهم عن رستم السنديد، وعن أسفندار وملوك فارس، ثم يقول والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها فنزل قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [1].

إنه شيطان من شياطين قريش كان يؤذي الرسول عليه السلام وينصب له العداوة ويتهمه بأنه رجل متقول ، وما أنزل الله به وبغيره من الآيات، إلا لأنه متجبر متكبر طاغٍ مدبر عن رؤية وسماع الحق.

نلاحظ مما سبق أن الذين يرفضون دعوة الإسلام ويقفون ضد الأنبياء هم من أصحاب السلطة والمكانة العالية والمال، وهم يعتقدون أنهم أفضل من غيرهم فلا يستطيعون التنازل عن مناصبهم، ولكن من كان في عليين في الدنيا فهو في الآخرة في أسفل السافلين وسيوقع الله بهم أشد العذاب والتنكيل وسيذهب ملكه وماله بريح صرصر عاتية وسيصبح هو ومناصبه هباءً منثورا ويكون عبرة لمن بعده.

---

[1] سورة لقمان، الآية (٦-٧).

الجوانب التربوية من قصص الجبابرة في عهد سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- ما يلي:

١- أن عاقبة هؤلاء الجبابرة وخيمة حيث سلط الله عليهم رسوله يوم بدر وسيصيبهم العذاب في الآخرة، وكل من سار على طريقهم ونهج نهجهم يصيبه ما أصابه.

٢- أن النجاح في النهاية لحملة مبادئ الحق، وأن الباطل مهما استعلى ووجد له أنصاراً وأعواناً لا بد من بهزيمته أمام الحق.

لازال هناك الكثير من الجبابرة الذين طغوا وتكبروا في زمن الأنبياء والحديث عنهم يطول فاقتصرتُ على ذكر بعض النماذج منهم، فما أولئك إلا صورة طبق الأصل عنهم في التجبر والتكبر والطغيان إن لم يكون أشد وأقوى.

المبحث الثالث

أساليب الجبابرة ووسائلهم

لقد سلك الجبابرة طرقاً عديدة. واتخذوا وسائل أساليب ومتنوعة للوصول إلى أهدافهم وأغراضهم سواء كان الهدف البقاء والاستمرار في الحكم والملك، أو الاستمرار في السلطة بأن يكون الآمر الناهي فقط، أو كان الهدف كنز المال والعيش في ترف وغنى أو كان الهدف التمسك بالمنصب والوظيفة والترقيات وغيرها من الأهداف، وقد اتخذ الجبابرة الوسائل الكافية للحفاظ على أهدافهم، ومن أمثال هؤلاء النمرود الذي كان في زمن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- وفرعون الذي كان في زمن سيدنا موسى -عليه السلام-، وهي أهداف تجري في دم كل ظالم جبار،وقد اتبعوا الأساليب التالية لتحقيق أهدافهم:

أولاً: أسلوب الاستهزاء والسخرية

ومن الشواهد على هذا الأسلوب قوله تعالى أيضاً: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [1].

وقد أشار القرآن الكريم إلى سخرية قوم نوح منه عندما أمره الله بصناعة الفلك، فقال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [2]

فهذه الآية الكريمة نزلت في سيدنا نوح -عليه السلام-، وتظهر ما كان يبديه قومه من سخرية عندما نفّذ أمر ربه في صنع السفينة وذلك لصرف اهتمام سيدنا نوح عليه السلام عما يفعل، وهذا الأسلوب -السخرية الاستهزاء- أسلوب متداول في جميع

---

[1] سورة الأنبياء، الآية (٣٦).

[2] سورة هود: الآية (٣٨).

العصور، فالقرآن الكريم يعرض لنا أيضاً أسلوب استهزاء أهل مكة من النبي -عليه السلام- وسخريتهم منه. حيث يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾[1].

هذه الآية تبين أن أسلوب السخرية والاستهزاء والتهكم الذي يستخدمه المشركون مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن آمن معه، ليس أسلوباً خاصاً بهم، بل استخدم مع الرسل الكرام السابقين -عليهم السلام-. فلم يعبئوا بالسخرية والتهكم الذي شن عليهم من أعدائهم بل صبروا ثم انتصروا، وإنه لمن أبشع الصور أن يهزأ المبطل بالحق ويسخر السفيه بالعاقل، فقد كانوا يواجهون الأنبياء وأتباعهم بالسخرية والاستهزاء والاستخفاف بأخبار النبي -عليه السلام-[2].

فهم يلقون الرسول -عليه السلام- ويقابلونه بالاستهزاء، لأنه ينال من أصنامهم التي لا تضر ولا تنفع، ويستكثرون عليه أن يذكرها بالسوء، ولا يستكثرون على أنفسهم وهم عبيد من عبيد الله، أن يكفروا به، ويعرضوا عمّا أنزل لهم من القرآن، ويستهزئوا بالنبي -صلى الله عليه وسلم-[3]. وهذه الآية تتحدث عن أسلوب السخرية بالرسول -صلى الله عليه وسلم- فهم يخاطبونه مستصغرين شأنه على سبيل الاستهزاء والتهكم[4].

ومن الأمثلة على الاستهزاء بالرسول -صلى الله عليه وسلم- وأتباعه أنه كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا جلس في المسجد فجلس إليه المستضعفون من أصحابه خباب وعمار وأبو فكيهة (يسار مولى صفوان أبن أميه بن محرث)، وصهيب وأشباههم من المسلمين، هزأت بهم قريش فقال بعضهم لبعض: "أهؤلاء مَنّ الله عليهم

---

[1] سورة الفرقان،الآية (٤١).

[2] أبو فارس : محمد عبد القادر، الابتلاء والمحن في الدعوات، ص ٤٧.

[3] قطب: في ظلال القرآن، ٥/٥٣٥.

[4] أبو فارس: الابتلاء والمحن في الدعوات، ص ٤٨.

من بيننا بالهدى والحق؟ لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه، وما خصهم الله به من دوننا"، ومن صور الاستهزاء أيضاً أنه "مر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبي جهل بن هشام فغمزوه وهمزوه واستهزأوا به، فغاظه ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1].

هذا الأسلوب استخدم في عهد الأنبياء السابقين وكذلك في عهد النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وما يزال هذا الأسلوب متبعاً إلى وقتنا الحاضر، فكثير من وسائل الإعلام المشاهدة والمقروءة والمسموعة تبث وتنشر ليلاً ونهاراً ما تهاجم به الدين وأتباعه تصريحاً أو تلميحاً. "والقصد من أسلوب السخرية هذا تحقير الرسل وأتباعهم، ومن أتى بعدهم من الدعاة إلى الله تعالى وتهوين شأنهم في عيون الناس، حتى لا يكون لكلامهم تأثير في النفوس، ووقع في القلوب، ذلك لأن الشخص الذي يُهزأ به ويسُخر منه في عرف أهل الجاهلية ضعيف العقل، قليل الإدراك لا يسمع إليه، ولا يكترث بكلامه وهم يسلكون هذا الأسلوب مع الدعاة وفي مقدمتهم الرسل والأنبياء للفت في عَضُدهم، ولحربهم نفسياً حتى يضعف حماسُهم لفكرتهم ودعوتهم، ويتراجعوا عما يدعون الناس إليه"[2].

ثانياً: أسلوب اتهام الأنبياء والرسل بالكذب والسحر والكهانة والجنون والسفاهة والفساد والشعر

وقد وجهت هذه التهم إلى كل نبي أو رسول، وإلى كل مصلح وداعيه. يدعوا إلى الحق والإيمان، فكان المتجبرون المتكبرون الظالمون العصاة الطغاة يقفون موقف

---

[1] سورة الأنعام، الآية (١٠).

[2] أبو فارس: الابتلاء والمحن في الدعوات، ص ٥٧.

المعارضة للدعوة، متهمين أصحابها بالكذب والتزوير وأن ما جاء به الأنبياء هو سحر وأساطير الأولين.

فقوم عاد يكفرون بنبيهم هود -عليه السلام- ويتهمونه بالكذب، قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [1]. وكذلك قوله تعالى بلسان قوم نوح: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [2].

وفرعون يتهم موسى -عليه السلام- بالكذب والسحر، وكذلك يتهمه بالجنون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [3]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [4].

وقريش تتهم سيد الخلق كذلك بالجنون والكذب والكهانة. قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [5]، وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [6].

إنه ليس أصعب على صاحب النفس الأبية والعقل الراجح، والرأي السديد والفكر الصائب أن يتهم في عقله، فيقال عنه مجنون، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً [7].

---

[1] سورة الأعراف، آية (٦٦).

[2] سورة الأعراف، الآية (٦٠).

[3] سورة غافر، الآية (٢٣-٢٤).

[4] سورة الشعراء، الآية (٢٧).

[5] سورة الدخان، الآية (١٤).

[6] سورة الطور، الآية (٢٩).

[7] أبو فارس: الابتلاء والمحن في الدعوات، ص ٦٥.

إن المتجبرين والطغاة يلتقون في التجبر والطغيان، بل ويدافعون عن تجبرهم فهدفهم واحد، ووسائلهم واحدة من أجل تحقيق هدفهم الأساس، وهو الاتفاق على اتهام الأنبياء والرسل والدعاة بالكذب والسحر والجنون والسفاهة.

ولا ننسى فرعون مصر وجنوده حيث حرض بطانته على طرد موسى وقتله لادعائهم أنه مفسد في الأرض.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾[1].

إنه منطق معكوس أن يخوّن الأمين وأن يؤتمن الخائن، وهناك الكثير من الآيات الكريمة التي تبين اتهام المتجبرين المتكبرين للأنبياء والرسل والمصلحين بالكهانة والشعر.

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾[3].

ولكن القرآن الكريم يجيب عليهم ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[4]

هذه التهم توجه في كل عصر إلى كل مصلح، والقصد من هذه الاتهامات إبعاد الناس عن هؤلاء المصلحين، ثم إيجاد مبرر للمتجبرين في توجيه هذه الاتهامات، حيث أن هؤلاء المصلحين في نظر المتجبرين يشكلون خطراً محققاً على المصالح والمناصب والأموال والملكية، ثم إن افتراءاتهم هذه واتهاماتهم ليس لها تبرير إلا المكابرة والعناد.

---

[1] سورة الأعراف، الآية (١٢٧).

[2] سورة الحاقة، الآية (٣٨-٤٢).

[3] سورة الصافات، الآية (٣٦).

[4] سورة الذاريات، الآية (٦).

ثالثاً: وسائل التهديد بجميع أنواع الأذى

لم يكتف المتجبرون بالحرب الكلامية إنما استخدموا أساليب ووسائل متعددة من الأذى للوقوف في وجه الدعوة إلى الله، وقد لجأوا إلى هذا الأسلوب بعد أن باءت محاولاتهم السابقة بالفشل، ورأوا ألا جدوى من مواجهة الأنبياء والمصلحين إلا بالتهديد فاستخدموا وسائل لذلك وأهم هذه الوسائل:

١- التهديد بالضرب والرجم:-

هذا ما حدث مع سيدنا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- أثناء حواره ومناقشته لأبيه، بأسلوب يفيض بالرقة يقوم على الاحترام وتقديم الدليل والحجة والبرهان على صدق دعوته إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، إلا أنه يتلقى رد والده بالوعيد والتهديد بالرجم كما قال تعالى:- ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[1]

وتهديد سيدنا شعيب بالرجم كان واضحاً من خلال قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾[2]

٢- التهديد بالسجن:-

إن أولياء الشيطان من ذوي الجاه والسلطان تدفعهم قوتهم وسطوتهم إلى تهديد أولياء الرحمان وتخويفهم بالسجن، إن هم استمروا على ما هم عليه من استقامة ونظافة وقول كلمة الحق.

وحياة السجون في القديم والحديث حياه مرعبة مفزعة مرهبة، لما فيها من انعدام الإنسانية في التعامل، وفي كل شيء يخطر على بال الإنسان، فبعض السجون لا يرى فيها النور، ولا يستطيع السجين أن يميز بين الليل والنهار، ولا أن يعرف أوقات

---

[1] سورة مريم، الآية (٤٦).

[2] سورة هود، الآية (٩١).

الصلاة إن كان يصلي، ولا أن يعرف طلوع الشمس من مغيبها إن كان يريد الصوم، وبعض السجون تكون مأوى لهوام الأرض.

والقرآن الكريم يذكر لنا أن فرعون مصر قد هدد موسى عليه السلام بالسجن، إن رفض ألوهية فرعون وآمن بألوهية الله وانصاع لها، قال تعالى ﴿ولئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ [1].

وقصة يوسف -عليه السلام- خير دليل على ابتلائه بالسجن دون ارتكابه جرماً. قال تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿قال لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين﴾[2] وقال عنه أيضاً ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ [3].

وقد ذكر القرآن الكريم ما كان يدبره المشركون لحبس سيدنا محمد -عليه الصلاة والسلام- حتى الموت فقال تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ [4][5].

فهذه الآية دليل على تذكير بما كان في مكة يوحي بالثقة واليقين في المستقبل لما كان من تدبير المشركين ومكرهم برسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد كان المشركين ينكرون له ويحسبوه حتى يموت أو يقتلوه أو يخرجوه من مكة مطروداً. فقد تشاورت قريش على المكر لسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- فمنهم من قال نثبته بالوثاق ومنهم من أشار بالقتل ومنهم من أمر بالطرد. فأطلع الله نبيه على ذلك، فبات علي -رضي الله عليه- على فراش رسول الله -صل الله عليه وسلم- وخرج الرسول

---

[1] سورة الشعراء، الآية (٢٩).

[2] سورة يوسف، الآية (٣٢).

[3] سورة يوسف، الآية (٣٥).

[4] سورة الأنفال، الآية (٣٠).

[5] أبو فارس: الابتلاء والمحن في الدعوات، ص ٨٠.

-صلى الله عليه وسلم- حتى لحق بالغار، فلما أصبحوا ورأوا علياً رد الله عليهم مكرهم. فهذه صورة مفزعة، فأين هؤلاء البشر الضعاف المهازيل من تلك القدرة القادرة، قدرة الله الجبار القاهر فوق عبادة، الغالب على أمره وهو بكل شيء محيط[1].

٣- التهديد بالنفي والتشريد:-

إن هذا الأسلوب يؤثر في النفس، إذ لا يستطيع الكثير من الناس أن يصبر على نار الفرقة، والبعد عن الزوجة والأولاد والأهل والأقارب والوطن، وهذا الأسلوب تعرض له كثير من الرسل، فالملأ من قوم شعيب يقولون له ولمن آمن معه، ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾ [2].

وكذلك قوم لوط، فقد كان سيدنا لوط يقف وينهى قومه عن أقبح الفواحش. فما كان جوابهم إلا كما قال الله تعالى: ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ [3] وقال تعالى أيضاً: ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾[4].

"إنه منطق التجبر والطغيان فلقد أصبحت الرذيلة عند هؤلاء كأنها فضليه، يدافع عنها ويهاجم الذين يرفضونها، لقد تغيرت القيم وانقلبت الموازين فهذا هو منطق المنحرفين[5]".

---

[1] قطب: في ظلال القرآن، ٣/١٥٠١.

[2] سورة الأعراف، الآية (١٨).

[3] سورة النمل، الآية (٥٦).

[4] سورة الشعراء، الآية (١٦٧).

[5] أبو فارس، الابتلاء والمحن في الدعوات، ص (٨٤).

رابعاً: وسائل الإغراء بالجاه والمال والسلطان

هذه وسيلة فتاكة مغرية تخدع الكثير من الناس، وقد ذكرت كتب السير والتفسير طرق الإغراء للرسول -صلى الله عليه وسلم- بالملك والمال.

وذلك بأن نفراً من زعماء قريش اجتمعوا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، بحضور عمه أبي طالب، فقالوا:- إن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كنت تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى صرت أكثرنا مالاً، فهش أبو طالب وبش لعرضهم هذا. فقال: "إقبل يا ابن أخي ما يعرضه عليك قومك ولا تكلفني مالا أطيق، فدمعت عين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أُهلَك دونه[1]".

وقد استخدم فرعون في زمن سيدنا موسى -عليه الصلاة والسلام- أسلوب الإغراء بالمنصب والمال مع السحرة، عندما سألوه عن الأجر فوعدهم أن يكونوا من المقربين له، فقال تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [2].

فوعدهم بالمنصب زيادة في الإغراء، وتشجيعاً على بذل غاية الجهد وهم يقومون بهذا العمل لنصرة فرعون الطاغية لمصلحتهم الخاصة، ولا شيء غير ذلك فهم "جماعة مأجورة يستعين بها فرعون الطاغية، تبذل مهارتها في مقابل الأجر الذي تنتظره، ولا علاقة لها بعقيدة، ولا صلة لها بقضية ، ولا شيء سوى الأجر والمصلحة، وهؤلاء هم الذين يستخدمون الطغاة دائماً في كل مكان وفي كل زمان[3]".

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، ص٣٠١ .

[2] سورة الأعراف، الآية (١١٢).

[3] قطب، في ظلال القرآن، ص

فالمنصب والجاه كالبريق يبهر الأبصار ويخدع الإنسان بحيث يتخلى عن دينه وخلقه بل وأهله للوصول لهذا المنصب.

خامساً: إلحاق الأذى الجسماني

هذه الوسيلة يلجأ إليها الجبابرة والطواغيت بعدما يفشلون بالوسائل السابق ذكرها، مبتكرين وسائل جديدة في التشديد والمطاردة، وهذه الوسيلة –الأذى الجسماني– من الوسائل المؤثرة بالدعاة، لأن الجبابرة يصبون جام غضبهم ويتفنون في التعذيب من أجل تحقيق هدفهم، ومن وسائل التعذيب الجسماني ما يلي:–

"وإن المشركين كانوا يأخذون بلال بن رباح –رضي الله عنه– ويبطحونه على أرض مكة يلقون على بطنه الصخرة العظيمة، ثم يأخذونه ويلبسونه في ذلك الحر الشديد درع حديد، ويضعون في عنقه حبلاً، يسلمونه إلى الصبيان يطوفون به، وهو في كل ذلك صابر محتسب، ولا يبالي بما لقي في ذات الله تعالى، رضوان الله عليه[1]"

١–إلقاء القاذورات:–

(بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالأَمْسِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلا جَزُورِ بَنِي فُلانٍ فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ قَالَ فَاسْتَضْحَكُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ –عبد الله بن مسعود– لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلاثًا وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلاثًا ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا سَمِعُوا

---

[1] الخضري: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، ص٥٧.

صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمْ الضَّحْكُ وَخَافُوا دَعْوَتَهُ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ قَالَ أَبُو إِسْحَقَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ غَلَطٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ) [1].

٢- البصق في الوجه:-

هذه الوسيلة فيها من الإهانة والإذلال ما فيها، إذ يقوم سفيه من السفهاء بالبصق في وجوه الشرفاء، وهو عقبة بن أبي معيط فقد دعا النبي -صلى الله عليه وسلم -فلم يلب دعوته حتى شهد أن لا إله إلا الله، فلقيه أبي بن خلف، فأنكر عليه ذلك وكان صديقاً له، وقال: اتبعت دين محمد؟ فقال: لا والله، ولكني قلت له قولاً لم اعتقده، فقال له: وجهي من وجهك حرام إن لم تكفر به وتتفل في وجهه، ففعل، ورجع ما خرج من فيه إلى وجهه فأنزل فيه الله ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾[2][3].

إنها وسائل في غاية العجب، وعلى الرغم من تنفيذها في حق الشرفاء والأبرياء إلا أن كل هذه الوسائل باءت بالفشل، لأن قلب الداعية متصل بالله تعالى فهو في الجنة ومن ثمّ يموت الجبابرة بغيظهم وحسرتهم لعدم تحقيق أهدافهم.

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين، رقم الحديث ٣٣٤٩.

[2] سورة الفرقان، الآية (٢٧- ٢٩).

[3] أبو فارس: الابتلاء والمحن في الدعوات، ص ١٠٩، ١٣٨/١.

سادساً: وسيلة سياسة تفريق المجتمع إلى فرق متعددة (شعاره فرق تسد)

هذا أسلوب اليهود قديماً وحديثاً وهم يحاولون ان يضربوا المسلمين بعضهم ببعض. وما أكثر ما نها الله تعالى إليه بقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [1] وقوله أيضاً: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [2] وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [3] وقوله أيضاً: ﴿إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [4] هذه الوسيلة تمثل سياسة فرعون في حكمه لقومه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾[5] ومعنى شيعاً "أي فرقاً ليشيعونه في كل ما يريده في الشر والفساد أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته[6]"

"هذه السياسة التي تبث الفرقة بين الناس في المجتمع وتثير بينهم النزاعات فيسهل التحكم فيهم والسيطرة عليهم، لأن ما دامت الأمة قوية مجتمعة متحدة لن يقر لها قرار ولن يستقيم لها حال حتى تزيل الظلم والطغيان، ولهذا عمد هؤلاء الطغاة إلى تفتيتها وتقسيمها[7]".

---

[1] سورة آل عمران، الآية (١٠٣).

[2] سورة آل عمران، الآية (١٠٣).

[3] سورة الأنفال، الآية (٤٦).

[4] سورة آل عمران، الآية (١٠٠).

[5] سورة القصص، الآية (٤).

[6] الألوسي: روح المعاني، ٢٠/ ٤٢.

[7] السيد عوض: محمد عبد الرحمن، الفرعونية كما صورها القرآن، ص٢.

ويمكن أن نطلق على هذه السياسة اسم سياسة فرق تسد "إن التاريخ شاهد على ذلك فالاستعمار الإنجليزي والاستعمار الفرنسي والاستعمار الإيطالي، قد سلك سياسة فرق تسد، ثم سلكها من بعده عملاؤه من المسؤولين في بلاد المسلمين فخضعوا لتقسيماتهم الجغرافية واستجابوا لأفكارهم الغازية القائمة على سياسة ثابتة هي فرق تسد[1]"

"وما نراه في بلاد المسلمين من تقسيمات للوطن وللناس، ونسبة الناس إلى الأرض والإقليم دون نسبتهم إلى الإسلام والعقيدة والدين ما هو إلا تنفيذ لهذه السياسة الفرعونية سواء كانت سياسة فرعونية في عهد موسى أو قبل عهده أو بعد عهده، وسواء كانت في عهود الاستعمار البغيض أو على أيدي تلامذة مناهج الاستعمار في بلاد المسلمين[2]؟

فهذا الأسلوب السياسي كان سبباً في احتلال الوطن وضعف الأمة وهو أسلوب متكرر في كل زمن، وإن حقق هذا الأسلوب هدفه ضاعت الأمة.

سابعاً: وسيلة التشكيك وإلقاء الشبهات

لم يكتف الجبابرة بالتعذيب والتهديد والبطش والتخويف لصد دعاة الحق عن دعوتهم، وإنما سلكوا سبيلاً آخر وهو التشكيك واتهامهم بشبهات ظالمة بعيدة كل البعد عن حقيقة الداعية المصلح كرميهم بالجنون والضلال والسفاهة والإفساد في الأرض.

قال تعالى في بيان موقف الأقوام من رسل الله: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [3]

---

[1] أبو فارس: محمد بن زكريا، إن فرعون علا في الأرض، ص (١٥).

[2] ابن فارس: إن فرعون علا في الأرض، ص (٥٢).

[3] سورة الذاريات، الآية (٥٢).

وكذلك قوله تعالى في بيان الشبهات التي أثارها فرعون حول موسى -عليه السلام-: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾[1] وهذا يعني أن فرعون رمى سيدنا موسى عليه السلام بالافتراء بالسحر والكذب، وسحر مفترى يعني، "سحر تعلمه أنت ثم تفتريه على الله، أو سحر ظاهر افتراؤه، أو موصوف بالافتراء كسائر السحر وليس بمعجزة من عند الله[1]".

وقول فرعون لقومه: ﴿ذروني اقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ فقد جاء سيدنا موسى -عليه السلام-، بالحق وقدم لقومه الأدلة والمعجزات الدالة على صدق دعوته، ولكن فرعون وقومه واجهوه بالاستكبار والافتراءات الباطلة من السحر والكذب.

وفرعون يريد أن يزرع الشك في نفوس الناس اتجاه موسى عليه السلام واتجاه رسالته وأسلوب التشكيك والشبه أسلوب لم يستخدمه فرعون فقط، بل هناك فراعنه تجبروا كتجبر فرعون واستخدموا وسائل مشابهة لوسائله، إن لم تكن أسوء مثل أبي جهل وأبي لهب وعقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف، وهدفهم من إثارة الشبهات حول الدعاة والدعوة هو تشكيك الناس بالدعوة، أو منع الاستجابة، أو التأخير والتخويف للاستجابة.

ثامناً: وسيلة القتل أو الذبح

لنبدأ حديثنا عن هذه الوسيلة منذ زمن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- للدلالة على قدم هذه الوسيلة.

هذه الوسيلة استخدمها طواغيت القوم مع إبراهيم -عليه السلام-، فلما عجزوا عن مواجهة حجج سيدنا إبراهيم، وبراهينه الساطعة، وحجاجه العلمي المنطقي العقلي

---

[1] سورة القصص، الآية (٣٦).

وأعياهم ثباته على عقيدته وتمسكه برسالته، أجمعوا على إعدامه فحكموا عليه بالموت حرقاً، وأن ينفذ هذا بطريقة بشعة، وذلك بأن يُبنى بنيان عظيم، وأن يجمع الشعب الحطب ويشعل النيران في البنيان ثم يلقى فيه إبراهيم بعد ذلك[2]:-

قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۝ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [3]".

وكذلك كان قرار فرعون بقتل موسى -عليه السلام- ومن آمن معه من السحرة، ففروا منه فتبعهم بجنوده، حتى إذا وصلوا إلى البحر، وأمره تبارك وتعالى أن يضرب البحر بعصا، فانشق البحر بإذن الله إلى طرق يسير فيها المؤمنون حتى اجتازوا البحر إلى الشاطئ الثاني.

قال تعالى:- ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[4].

أما الوسائل التي اتبعت في عهد نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- فكثيرة جداً من هذه الوسائل "القتل بواسطة السم" حيث "قامت امرأة يهودية من يهود خيبر بوضع

---

[1] الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل، ص ٢٩٧/٣.

[2] أبو فارس: الابتلاء والمحن في الدعوات، (ص١٣).

[3] سورة الأنبياء، الآية (٦٥-٦٨).

[4] سورة يونس، الآية (٩٠-٩٢).

السم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- في شاة مصلية[٥]، وسألت عن أحب اللحم لـه صلى الله عليه وسلم-، فأجيبت بأنه الذراع، فأكثرت من السم فيه، فـأكل رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- لقمة منها فلم يستسغها فلفظها وقال هـذه الشـاة تخـبر أنـها مسمومة، فاعترفت اليهودية بذلك زاعمة أنه إن كان نبياً سيعرف ذلك.

ومع أن الله تعالى قد نجاه من موت محقق أرادته اليهودية له إلا أنه قد بقي أثر لهذا السم يعاوده حتى ألحق بالرفيق الأعلى بعد أربع سنوات تقريباً[١]".

وكذلك صحابة رسول الله -صلى الله عليه سلم- واجهوا الكثـير مـن أنـواع التعذيب كعمار بن ياسر ووالديه، وبلال بن رباح، وخباب بن الأرت، وغيرهم كثير.

وهذا الأسلوب كثيراً ما يتم استخدامه في زماننا، فما من مصلح داعٍ إلى الحـق يعجز الجبابرة الكفرة عن إغرائه أو إرهابه إلا ويعملون على التخلص منه، إما بوضع السم له أو بالاغتيال، أو القتل بالسيف أو رمياً بالرصاص، كل هذا من أجل المحافظـة أهدافهم من سلطة أو مال أو وزارة. ناسين أو متناسين أنهم وأهدافهم زائلون في هـذه الدنيا، قال تعالى مخاطباً لرسوله ومبيناً مكر الجبابرة الظـالمين: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٢].

في نهاية هذا المبحث نود الإشارة إلى أن كثيراً مما جرى في عـهد النمـرود وعهد فرعون وأبي جهل.. متكرر في عهد فراعنة ونماردة واقعنا الحاضر، حيـث إن الجبابرة الطغاة يصبون فنون التعذيب على دعاة الإصلاح، لأنهم يخشون من ضيـاع مصالحهم المالية والسلطوية، فجميع الوسائل السابقة الذكر ليست خاصة بفرعون موسى

---

[٥] مصلية: مشوية.

[١] ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ٣١٧-٣١٨.

[٢] سورة الأنفال، الآية (٣٠).

ونمرود إبراهيم أو أبي جهل وأبي لهب في عهد سيدنا محمد عليه السلام ولكنها وسائل ما يزال يستخدمها أصحاب الباطل في مواجهة أصحاب الحق في القديم والحديث.

وبهذا ننهي وسائل الجبابرة التي اتبعوها في مواجهة الأنبياء والرسل والدعـــاة من أجل تحقيق أهدافهم والدفاع عن سلطانهم.

الفصل الثاني

موقف القرآن الكريم من الجبابرة.

المبحث الأول: الأساليب التي أتبعها الأنبياء والرسل في دعواتهم في الرد على الجبابرة.

المبحث الثاني: مصير الجبابرة كما ورد في القرآن الكريم.

الفصل الثاني

موقف القرآن الكريم من الجبابرة

بيّن القرآن الكريم موقفه من الجبابرة المعاندين، فبعد أن أرسل الله إليهم الرسل بالحجج الواضحة والبراهين الساطعة والأدلة العقلية والمنطقية، وبعد مرور زمن طويل في تبليغ كل نبي لدعوته وظل الجبابرة على حالهم لم تلن قلوبهم، وفي هذا الفصل ستستعرض الباحثة مبحثين. والمبحث الأول: بيان لأهم الأساليب التربوية العلاجية التي اتبعها الأنبياء في الردّ على الجبابرة، المبحث الثاني: يتحدث عن مصير الجبابرة وعقابهم والنهاية التي ألمت بهم.

المبحث الأول

الأساليب التي اتبعها الأنبياء والرسل في دعواتهم في الرد على الجبابرة.

إن القرآن الكريم جمع أساليب الأنبياء الدعوية التربوية القولية منها والفعلية، أما القولية فتتمثل في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

والأنبياء عليهم السلام يوجهون دعواتهم إلى جميع الناس الضعيف والقوي، الفقير والغني، الذكر والأنثى... فمنهم من اهتدى بأدنى تنبيه ومن أول أسلوب كالقول الحسن أو البليغ، ومنهم من يدعى بالقول والفعل والقوة وبالترغيب والترهيب ...الخ ولكنه يظل معانداً للحق وجاحداً له، فهذا على قلبه غشاوة لا تُزال إلا بقدرة الله تعالى وإرادته.

وفي هذا المبحث ستستعرض الأساليب العلاجية والوقائية التربوية التي اتبعها الأنبياء عليهم السلام في مواجهة التجبر والظلم.

أولاً: التربية بالحكمة:

الحكمة: وضع كل شيء في موضعه الذي يوجبه العقل، أو تكشفه التجربة وتحقق به الغاية المقصودة من الأمر بأقل كلفه وأقصر زمن ممكنين[1].

والحكمة تأتي مفرده ومقترنة. مفردة في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [2] ومقرونة في قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتابة والحكمة ويزكيهم...﴾ المفردة فسرت بالنبوة، وفسرت بالقرآن

---

[1] الميداني: عبد الرحمن حسن حنبكه، فقه الدعوة إلى الله تعالى، (٣٩/١).

[2] سورة البقرة، الآية (٢٦٩).

والفهم فيه، وفسرت بالقرآن والعلم والفقه، وأما المقرونة بالكتاب فهي السنة[1]، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[2].

استعمالات الحكمة في القرآن:

- الإصابة في القول والفعل:- قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [3].

- العقل في الدين. قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [4]

- المعرفة بالدين والفقه والخشية. ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

- المقالة المحكمة الصحيحة: وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة، نحو قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [5].

- السنة: قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [6]".

---

[1] الخلف: أحمد بن عبد العزيز، منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله تعالى، (٦٩٩/١).

[2] سورة الجمعة، الآية (٢).

[3] سورة البقرة، الآية (٢٦٩).

[4] سورة البقرة، الآية (٢٦٩).

[5] سورة النحل، الآية (١٢٥).

[6] سورة البقرة، الآية (١٢٩).

- النبوة: قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١).

- الإنجيل": قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾(٢).

- المواعظ التي في القرآن الكريم من أمرٍ أو نهي: قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٣)".

- القرآن: قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٤)(٥).

أما الحكمة في السنة النبوية الشريفة: فعن ابن مسعود عن النبي عليه السلام قال: **(لا حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)**(٦).

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٥١).

(٢) سورة الزخرف، الآية (٦٣).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٣١).

(٤) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٥) المورعي: أحمد بن نافع بن سليمان، الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جده- السعودية، ط١، ١٩٩٧، (ص ٨٧).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، رقم الحديث (٧١).

إن الداعية الحكيم هو الذي يقيس الأمور بمقياسها الصحيح، ويزن الأمور بميزانها السليم، ويعرف أي الأساليب يستخدم، ومتى يستعمل ذلك الأسلوب، وكيف يستعمله، ومن الحكمة أن يستخدم الداعية تارة أسلوب النصح وتارة اللين، ومن الأساليب الحكيمة ومن النماذج الداله على الحكمة الواردة في القرآن الكريم.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۝ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ [1].

ففي هذه الآيات الكريمات بيان لأسلوب سيدنا إبراهيم عليه السلام الحكيم اللين مع أبيه فهو لم يستعمل العنف ولا الشدة، والغلظة والقسوة، وإنما أورد عليه النصائح والدلائل بأسلوب حكيم هين لين سهل، وصدّر كلاً من هذه الآيات بالنداء "يا أبت" ليبين لأبيه شدة محبته له ورغبته في صونه من العقاب وإرشاده إلى الصواب[2].

ففي هذا النموذج الحكيم تربية للداعية إلى الله بأن يكون حكيما لطيفاً ليناً سهلاً يورد الكلام لا على سبيل العنف والشدة والقسوة، لأن الدعوة بهذه الطريقة -الشدة والعنف- يترتب عليها أعراض المدعو عنه، وبهذا يكون الداعية أضلّ ولم يهد.

قال الزمخشري: (انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، مع استعماله المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصحاً في ذلك بنصيحة ربه عز وعلا، فطلب منه أولاً أن يبين العلة في عبادته لهذه الأصنام، وذلك لأن العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية

---

[1] سورة مريم، الآية (٤١-٤٥).

[2] المورعي: أحمد بن نافع بن سليمان، الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، ص١٨٢.

الإنعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت، ثم ثنّى بدعوته إلى الحق مترفقاً به متلطفاً، فلم يسم أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ثم نهاه عما كان عليه بأن بين له أن الشيطان عدو لا يريد إلا الهلاك، ثم خوفه سوء العاقبة وعمّا يجره من ما هو فيه من الوبال، وفي كل هذا لم يخل من حسن الأدب ولم يصرح بأن العقاب لاصق له وأن العذاب لا حق به، ولكنه قال: أخاف أن يمسك عذاب فذكر الخوف والمسّ ونكّر العقاب وقد صدّر كل نصيحة بقوله: "يا أبت" توسلاً واستعظاماً[1]. فكان رد أبيه إن لم ينتهِ سيرجمه ويطرده بل وطالبه بالهجران، فقال إبراهيم -عليه السلام- ما يدل على رحمة تليق بمن قال الله فيه: (إن إبراهيم لأواه حليم) فما أجملها من حكمة وما أرقها من رحمة، أما والده فقد انعكس الكفر على أبوته وإنسانيته وتحول أب إلى أبوه وإنسان بلا إنسانية.

فقصة سيدنا إبراهيم درس تربوي للداعية المسلم لاستخدام أسلوب الحكمة في الدعوة مع الآخرين، وعلى الداعية أن يقتدي بسيدنا إبراهيم عليه السلام بالدعوة باستخدام الأسلوب الجميل، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم مع مراعاة الظروف الاجتماعية والبيئية، والعمل على عرض الموضوع بطريقة ملائمة لتلقى دعوته الأثر المحمود من القبول والاستجابة.

ومن الأمثلة أيضاً الدالة على رد الأنبياء عليهم السلام على الجبابرة في القرآن الكريم قصة سيدنا نوح عليه السلام مع قومه.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ

---

[1] الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل، ٢/٢٢٥.

دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [1].

فقد أبانت الآيات أن نوحاً -عليه السلام- قد اتبع وسلك كل ما أمكنه من أساليب في عرض دعوته على قومه وتفنن في ذلك. فجهر بالدعوة تارة، ثم زاوج بين الإعلان والإسرار تارة، ودعاهم ليلاً ونهاراً، وأطمعهم ورغبهم في خيري الدنيا والآخرة، وأطمعهم في غفران الذنوب والرزق الوفير الميسور والجنات والبنين، وذكرهم بنعم الله عليهم، ومع هذا أصروا واستكبروا استكباراً[2]. وقد أعطى نوح -عليه السلام- أعلى المثل على الصبر لصاحب النبوة الخاتمة فقال تعالى: ﴿فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ فهو عليه السلام وإن كان قد دعا عليهم إلا أنه لم يرتح إلا بعد أن قال الله: ﴿يا نوح إنه لن يؤمن من قومك إلا من آمن﴾ وقد دعا عليهم بعد ان استنفذ جميع الوسائل للدعوة فمر بالترغيب كقوله تعالى: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا، يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾ [3]. وكان يدعوهم في الأوقات التي تؤثر

---

[1] سورة نوح، الآية (١-٢٠).

[2] المورعي: الحكمة والموعظة الحسنة، ص ٢٢٥.

[3] سورة نوح، الآية (١٠-١٢).

فيهم، قال تعالى: (رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً) [1]. وقوله: (ثم إني دعوتهم جهاراً ثم إني أعلنت لهم واسررت لهم إسراراً) [2]. واستمر في دعوته ألف سنة إلا خمسين عاما، قال تعالى: (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما) [3] ولكن القوم اتهموهم بالضلال وانه من أراذل القوم وأتهموه بالكذب. فخاف نوح -عليه السلام- على من آمن أن يضلهم الكافرون، فما كان من نوح عليه السلام إلا الدعاء عليهم فقال تعالى: (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضل عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا) [4]. وقال تعالى: (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا) [5]

فقد عرض نوح عليه السلام الأساليب جميعها في دعوته، فهذا تربية للداعية المسلم بأن يكون حيكماً وخبيراً بأدواء النفوس وعلل القلوب، ليسلك الأسلوب المناسب في علاجها، فمن الحكمة أن يستخدم الداعية الطريقة المناسبة لعرض دعوته، فمن الناس من يعجبه حسن اللفظ ومنهم من يعجبه الوعظ، فالداعية الحكيم يستخدم الأسلوب الحكيم لتحقيق الحكمة المطلوبة، وعلى الداعية أن يحذر من إطالة الوقت لأن من الحكمة مراعاة مصلحة المدعوين، لأن الإطالة مدعاة إلى الملل والسآمة.

---

[1] سورة نوح، الآية (٥).

[2] سورة نوح، الآية (٨-٩).

[3] سورة العنكبوت، الآية (١٤).

[4] سورة نوح، الآية (٢٦-٢٧).

[5] سورة نوح، الآية (٢٨).

- التربية بالموعظة الحسنة:

الموعظة: تذكير الشخص بما يلين قلبه من الثواب والعقاب، يقال وعظته فاتعظ إذا أثرت به الموعظة وإلى جانب الوعظ نطلق حكمة الإرشاد"[1].

والوعظ : النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل"[2].

والوعظ: هو الكلام الذي تلين له القلوب، وأعظم ما تلين له قلوب العقلاء أوامر ربهم ونواهيه، فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم امتثاله وطمعوا فيما عنده من الثواب في امتثاله، وإذا سمعوا النهي خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه، وطمعوا فيما عنده من الثواب باجتنابه، فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الامتثال، فلانت قلوبهم للطاعة خوفاً وطمعاً[3].

وتتمثل أهمية الوعظ في أن الله تعالى جعل على قلب كل عبد واعظا، في الأنفس والألوان والألسن واللغات والمأكل والمشرب، وجعل خيرة خلقه الوعاظ لعباده ومكنهم بقدرته وحكمته مما كلفهم به، وجعل العلماء ورثة الأنبياء، حيث إن الخير والشر والحق والباطل في صراع دائم، والنفوس البشرية قابلة للخير والشر.

وتعتمد أهمية الوعظ أساساً على أنه يخاطب أشرف شيء في الإنسان ألا وهو قلبه وروحه، وبالوعظ خاطب الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- الطغاة والكفرة، وبالوعظ خاطبوا الجهال والعصاة، وبالوعظ خاطبوا الأتقياء والبررة، وإن الإسلام فتح القلوب بالموعظة الحسنة قبل أن يفتح البلاد والحصون، ذلك لأن القلوب إذا انفتحت للكلمة الطيبة انقاد لها سائر الجوارح، لذا حث القرآن الكريم على الموعظة والتذكير، وما كان الوعظ شائعاً في بيئة إلا صلحت وأصلحت، ورقت القلوب ولانت النفوس للعلم

---

[1] بيومي: مصلح سيد، أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، المكتبة التوفيقية للطباعة، الأزهر، ط٢، ١٩٧٩.

[2] حموده: محمود محمد، وعساف: محمد مطلق، فقه الدعوة وأساليبها، مؤسسة الوارق للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، د. لاط، ٢٠٠٠، (ص ٦٦).

[3] الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن، (٣٤٩/٣).

والفضيلة والطاعة، وبذلك ينزل الله رحمته وفضله فيعم العلم والمحبة والوحدة والقوة والتواضع والبذل والإيثار[1].

وقد ورد لفظ الوعظ في القرآن لكريم بصيغ مختلفة ولها استعمالات كثيرة منها:

- **النصح:** وهو بيان الحق والمصلحة، بقصد تجنب المنصوح الضرر وتحقيق السعادة والفائدة، والناصح الصادق لا يتوخى مصلحة شخصية دنيوية، وأن يتنزه عن أخذ الأجر على أداء واجبه التربوي، وقد بين الله ذلك بالحوار الذي جرى بين الرسل وأقوامهم، فقال مخاطباً رسوله محمداً -صلى الله عليه وسلم-: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [2].

- **التذكرة:** وهو أن يعيد الواعظ إلى الذاكرة معاني وذكريات، تستيقظ معها المشاعر والوجدان والانفعالات، تدفع للمبادرة إلى العمل الصالح، والمسارعة إلى طاعة الله، وهذا يقتضي أن يكون في ذكريات الموعوظ ووجدانه ما يعتمد عليه الواعظ من إيمان بالله وخوف من الحساب ورغبة في الثواب ومن وسائل التذكير:

١- التذكير بالموت: وقد كان عمر بن الخطاب يقول: كفى بالموت واعظاً.

٢- التذكير بيوم الحساب: بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [3][4].

والموعظة أسلوب تربوي استعمله الأنبياء في الرد على الجبابرة، ومثال على ذلك سيدنا موسى -عليه السلام-، مع فرعون الطاغية، فقد كان موقف فرعون من

---

[1] الشنقيطي: محمد بن أحمد بن الطالب عيسى، الواعظ الحثيث بالآية والحديث، تقويم سعود والشريم، ومحمد الأمين بن الحسن، ومحمد الادو، دار الوطن للنشر، الرياض والسعودية، ط١، ١٩٩٩، (ص ٢٢).

[2] سورة الفرقان، الآية (٥٧).

[3] سورة الطلاق، الآية (٢)

[4] النحلاوي: عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق- سوريا، د. ط، ١٩٩٦، ص ٢٨٤.

دعوة موسى:" **يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري**" وقوله: "**أنا ربكم الأعلى**، "**وإن فرعون لعالٍ في الأرض وإنه لمن المسرفين**" والله تعالى يأمر نبييه موسى وهـــارون بقوله: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ۞ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ۞ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ۞ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [1].

ففي الآية الكريمة أمر من الله أن يقولا (قولاً ليناً) والعلة في ذلك (لعله يتذكر أو يخشى) وموسى عليه السلام يعرض دعوته برفق ولطف دون تجريح، وفـــي الآيـــات فضلاً عن الحث على الأخذ بالأسلوب الحسن، تنبيه على أن الداعية ينبغي أن يمتلـــئ صدره بالأمل المشرق، وأن يطرد اليأس من نفسه فهذه دعوة للقول الليـــن والأســـلوب الجميل والحكمة والموعظة الحسنة، وذُكر أن واعظاً دخل على هارون الرشيد فوعظـــة وأغلظ له بالموعظة فقال له هارون: مهلاً يا هذا إن الله أرسل من هو خيرٌ منك إلا من هو شرٌ مني أرسل موسى وهارون إلى فرعون فقال لهما: (**فقولا له قولاً لينـــاً لعلـــه يتذكر أو يخشى**).

وهناك نموذج آخر وهو مؤمن آل فرعون مع فرعون قال تعـــالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [2] فما كان رد الرجل المؤمن ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۞ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۞ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ۞ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۞

---

[1] سورة طه، الآية (٤٣-٤٧).

[2] سورة غافر الآية ٢٦.

فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴾ [1].

فهذا درس عملي للدعاة في الأسلوب الجميل والموعظة الحسنة فهذه موازنة بين دعوته ودعوتهم **(فستذكرون ما أقول لكم وأفوّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد)** هذا هو أسلوب الموعظة الحسنة"[2].

وهذه الآيات القرآنية تدل على أهمية الوعظ بوصفه طريقة مهمة في الدعوة إلى الله وتربية الأجيال، وعلى الداعية بأسلوب الوعظ أن يراعي المبادئ التالية:

- الابتعاد عن التكلف في الكلام لأن الله سبحانه وتعالى لا يحب المتكلفين.
- أن يرتبط الوعظ بهدف واضح محدد ويجب على الواعظ أن يلتزم بالتقوى.
- أن يراعي نفسية من يدعوه، وأن يتخير الأوقات، المناسبة للوعظ، وأن لا يثقل الواعظ على من يعظه حتى لا يحدث في نفسه الملل والضجر.
- أن يراعي الناحية الفكرية للمدعوين فهي الأداة القادرة على التعليم واكتساب المعرفة.
- أن يراعي الناحية العاطفية، الترغيب بما يسر ويفرح والترهيب بما يسوء.

---

[1] سورة غافر، الآية ٣٨-٤٧.

[2] الصالح: محمد بن لطفي، خواطر في الدعوة إلى الله، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق، ط١، ١٩٩٠، ص٢١٠.

النتائج التربوية للموعظة الحسنة:

للوعظ نتائج من الناحية النفسية والتربوية أهمها:-

- الاعتماد على الجماعة المؤمنة. فالمجتمع الصالح يوجد جواً يكون فيها الوعظ أشد تأثيراً وأبلغ في النفوس لذلك جاءت معظم المواعظ القرآنية بصيغة الجماعة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [1].

- ومن أهم آثار أسلوب الموعظة تزكية النفس وتطهيرها، وهو من أهداف التربية الإسلامية وبتحقيقه يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات ويأمر الجميع بأمر الله[2].

- وتهذيب الخلاق والأخذ بأيدي الناس إلى طريق الحق والصواب وإبعادهم عن طريق الشر والعذاب.

- ويعتبر وسيلة تربوية مؤثرة في نفوس المدعوين في التكوين الإيماني والإعداد الخلقي والنفسي والاجتماعي. فهو وسيلة إصلاح للأفراد والجماعات.

ثالثاً: التربية بالمجادلة بالتي هي أحسن

الجدل في اللغة: هو اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالاً. ورجل جدِل ومجدل ومجدال: أي شديد الجدل، يقال: جادلت الرجل فجدلته جدلاً، أي غلبته، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام. وجادله: أي خاصمه، والاسم (الجدل) هو شديد الخصومة[3].

---

[1] سورة النساء، الآية ٥٨.

[2] النحلاوي: أصول التربية الإسلامية، ص٢٨٤.

[3] ابن منظور: لسان العرب، ١١/١٠٥.

وقال الأصفهاني: "الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه"[1].

وقال الفيومي: هو التخاصم بما يشغل عن ظهور الصواب ووضوحه، وهذا أصله، ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها، وهو محمود إن كان للوقوف على الحق وإلا فمذموم[2].

وقال أبو البقاء: الجدل هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره[3].

وقال الألمعي: "مهما يكن من هذه المعاني في الجدال والجدل فإن الخصومة والمنازعة في البيان والكلام لإلزام الخصم بإبطال مدعاه وإثبات دعوى المتكلم، ومنه حسن ومنه قبيح"[4]، والفرق بين الجدال المحمود والمذموم "هو الغاية والوسيلة فإن كانت الغاية الحق والوسيلة حسنة فالجدال محمود وإلا فمذموم[5]". مما سبق يتبين لنا أن الجدال، مقابلة الحجة بالحجة لإظهار الحق والوصول إليه، وإن الجدل منه المحمود ومنه المذموم.

---

[1] الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٨٩.

[2] الفيومي: أحمد بن محمد المقري، المصباح المنير، بيروت - لبنان، مكتبة لبنان، د. ط، ١٩٨٧، ص ١٠٢.

[3] الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد، د. ط، ١٩٨٣، ١٧٢/٢.

[4] الألمعي: زاهر بن عوض، مناهج الجدال في القرآن الكريم، الإمام، د، ت.د.ط، ص٢٠.

[5] جريشة: علي، مناهج الدعوة وأساليبها، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة-مصر، ط١، ١٩٨٦، ص١٦٢.

أهداف الجدال وفوائده:

- يعتبر الجدال سلاحاً فعالاً للدفاع عن أفكار الإنسان وتصوراته، وقد أمر الله به ولكن جعله مقيداً بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]
- يعتبر وسيلة لإقناع الخصوم وقد يكون واجباً لنصرة الدين ومحاربة الباطل، وأما إذا كان الجدال انتصاراً للنفس ورغبة في الاستعلاء والغلبة فهو عمل مذموم.
- يبين للأنبياء والدعاة الصالحين العقبات الدعوية التي تقف في طريق الدعوة، وفي بان هذا الأصل بين لنا القرآن مواقف جبابرة قريش من دعوة النبي -عليه السلام- حيث اتهموه بالسحر والكهانة والكذب، خصومة وجدلاً.
- يبين للدعاة أصول الإيمان التي يحملونها وهي تتمثل بالإيمان بالله واليوم الآخر والدعوة إلى الفضائل ومحاربة الرذائل.
- تبين للدعاة طبيعة الجبابرة واتجاهاتهم من اجل أن يأخذوا بأيديهم إلى طريق الحق، وقد بين الجدال طبائع اليهود والنصارى وجبابرة الكفر بشكل عام[2].

ومن النماذج الجدلية الواردة في القرآن الكريم ما يلي:

- مجادلة نوح عليه السلام لقومه:

لقد أرسل الله نوحاً عليه السلام إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده ونبذ الأوثان ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، وعرض خلالها الدعوة بأساليب شتى، دون أن يستجيب ويؤمن له من قومه إلا القليل حتى ابنه لم يستجب لدعوته وغرق مع المغرقين وكذلك زوجه كانت من المغرقين الهالكين.

---

[1] سورة العنكبوت، الآية (٤٦).

[2] بني عامر: فقه الدعوة أساليب الدعوة والإرشاد، ص ٨٠-٨٤.

وكان سبب معارضة القوم، أن نوحاً ما هو إلا بشر مثلهم ولو أراد الله أن يرسل إليهم رسولاً لأنزل ملكاً من السماء، فنوح كاذب في دعواه فجزاه أن يُتهم بالضلال والجنون ووجهوا إليه دعوة أنه لم يتبعه إلا أراذل القوم ولو كان في دعوته خيرا لتّبعه رؤساء القوم. قال تعالى: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [1]. ولكن كيف كان الرد على معارضة الدعوة؟

لقد سلك نوح عليه السلام في مجادلته أفضل الطرق واستعمل في جداله الحجج المنطقية اليقينية والبراهين العقلية التي تبين وتوضح أن حجتهم مدحوضة.

قد أتهموه بأنه بشر مثلهم قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ [2] فرد على شبهتهم كونه بشراً بأن الرسالة منّه من الله واصطفاء لمن يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [3] وأما عن اتهامه بالضلال والجنون فقال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [4]، فقد أخبرهم بأنهم يعرفون سيرته قبل بعثته وإنه كان فيهم مثال الصدق والأمانة وكمال العقل. قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ [5].

---

[1] سورة الشعراء، الآية (٨١).

[2] سورة المؤمنون، الآية (٢٤-٢٥).

[3] سورة الأعراف، الآية (٦٣).

[4] سورة الأعراف، الآية (٦٠).

[5] سورة الأعراف، الآية (٦١).

وأما رده على شبهتهم أن دعوته كانت ليزداد مالاً، فهو لم يأتِ لمثل هذا الهدف والغاية، بل هو رسول من عند الله ينذرهم ويبلغهم رسالات الله فمن اهتدى فلنفسه ومن أساء فعليها قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [1]. فما كان جوابهم إلا أن قالوا: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [2].

ومع هذا صبر نوح عليه السلام على هذا التعنت والصد الطويل من قومه بعد دعوتهم عاماً بعد عام، سراً وجهراً، نهاراً وليلاً، فأوحى الله إليه أن لن يؤمن به إلا العدد القليل، فلا يبتئس وأن يصنع الفلك الذي سيحمل به الذين آمنوا معه. وفي النهاية حقت كلمة العذاب وجاء الطوفان المهلك[3].

هذه المجادلة التي دارت بين سيدنا نوح-عليه السلام- وقومه لها انعكاسات تربوية كثيرة تنعكس على الداعية، وتربيه على أن يكون مخلصاً نيته في دعوته طالباً لمرضاة الله تعالى، وأن يكون غرضه الوصول إلى الحق، وأن يتوخى اللين والرفق في مجادلته، وأن يستعمل الحجج الواضحة والبراهين العقلية والتربوية على التزام الأخلاق الفاضلة والآداب العالية والرفيعة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [4] وأن يكون هادئ النفس ولا يغضب ولا يرفع صوته عند المجادلة لأنه يورث الغضب والضجر.

- مجادلة إبراهيم -عليه السلام- النمرود

فقد ذكر القرآن الكريم نموذجاً آخر يدل على المجادلة بالتي هي أحسن وهذا النموذج هو سيدنا إبراهيم -عليه السلام- ومخاطبته لملك زمانه. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى

---

[1] سورة هود، الآية (٢٩).

[2] سورة هود، الآية (٣٢).

[3] المورعي: الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، ص٤١١.

[4] سورة النحل، الآية (١٢٥).

الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

جادل النمرود إبراهيم في ربه، بأن ادعى أنه هو الرب والإله فأورد عليه إبراهيم حجة منطقية بأن أخبره أن الله يحيى ويميت، فهل يستطيع أن يفعل ذلك؟ فاحتال الملك وموّه تمويه المخادعين، قال: نعم: أنا أحيي وأميت، بأن يأتي باثنين فيقتل أحدهما ويبقى الآخر، ففاجأه إبراهيم عليه السلام بحجة أقوى وألزم، بحجة كونية ليست له حيلة فيها ولا تمويه، بأن أخبره أن الله يأتي بالشمس من المشرق فهل يستطيع أن يأتي بها من المغرب؟ عندها أفحم وأخرس، ولم يجد جواباً[2] **(فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين)**. لأن الشمس حقيقة مكرره. تطالع الأنظار ولا تتأخر وهي شاهد يخاطب الفطرة[3].

وبذلك استطاع إبراهيم- عليه السلام- بقوة حجته وطريقته الهادئة في الجدال وتقديمه البرهان الساطع العقلي والحجة اليقينية الصادقة على دعوته من مواجهة هذا الجبّار.

ويستطيع الداعية أن يبطل دعوى الخصم بعدة طرق منها:

- إبطال دعوى الخصم بإثبات نقيض دعواه، عن طريق إثبات أمر جزئي هو يثبته ويقول به ويؤيده. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾[4]. فهذه هي دعواهم وهي انهم نفوا أن يكون الله قد انزل على بشر من عبادة شيئا، مع انهم

---

[1] سورة البقرة، الآية (٢٥٨).

[2] المورعي، الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، ص (٤١٧).

[3] قطب: في ظلال القرآن، ٢٩٨/١.

[4] سورة الأنعام، الآية (٩١).

يثبتون النبوة لموسى وأن الله قد انزل عليه التوراة، فرد عليهم إبطالاً لكلامهم بهذه الجزئية التي يثبتونها، قال تعالى: ﴿قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفونها كثيراً﴾ [1]

- إبطال دعوى الخصم عن طريق موافقته في مقدمة دعواه ثم إلزامه بها عن طريق بيان أن مقدمته تستلزم نتيجة غير ما كان يأمل ويريد، فقولهم مثلاً: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [2]. فهذا موافق للرسل على هذه المقدمة ولكن هذا لا يمنع أن يصطفي الله ما يشاء من عباده ويمن عليه بالرسالة. قال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [3].

- إبطال دعوى الخصم عن طريق إثبات الأمر بإبطال نقيضه. كقوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [4].

- الرد على كلام الخصم ببيان أن دليله باطل، ولا تقوم به الحجة، كقوله تعالى: ﴿واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ [5].

---

[1] سورة الأنعام، الآية (٩١).

[2] سورة إبراهيم، الآية (١٠).

[3] سورة إبراهيم، الآية (١١).

[4] سورة النساء، الآية (٨٢).

[5] سورة البقرة، الآية (١٧٠).

- الرد بإبطال دعوى الخصم، وإثبات عكسها له، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [1]. فبين الله كذبهم في دعواهم أنهم المصلحون وأثبت عكس الإصلاح لهم[2].

رابعاً: التربية بضرب الأمثال:

المثل: تشبيه شيء بشيء في حكمة وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر. والله تعالى ضرب الأمثال في كتابه ودعا عباده إلى تعقلها والتفكير فيها والاعتبار بها"[3].

الأمثال: موعظة حسنة تثير الانفعال وتخاطب الوجدان تغري على الخير وتبعد عن الشر وهذا أسلوب إقناعي تلمح فيه المناصحة والإرشاد[4].

وللأمثال في القرآن واللغة معان أهمها:

١- تشبيه شيء يراد بيان حسنه أو قبحه بشيء مألوف حسنه أو معروفة حقائقه، كتشبيه اتخاذ المشركين أولياء من دون الله بالعنكبوت تصنع بيتاً.

٢- ذكر حال من الأحوال ومقارنتها بحال أخرى مع وجود جامع بينها لبيان الفارق.

٣- بيان استحالة التماثل بين شيئين يزعم المشركون أن بينهما جانبا من التماثل فآلهه المشركين لا يعقل بحال أن ترقى إلى المماثلة مع الخالق فتعبد معه"[5].

أهمية الدعوة بضرب المثل:

إن طريقة المثل طريقة تربوية لها تأثير عميق في العواطف وكذلك تؤدي دوراً هاماً في التأثير على سلوك الإنسان في الحياة اليومية، فيما لو استغلت بحكمة وفي

---

[1] سورة البقرة: الآية (١١-١٢).

[2] المورعي: الحكمة والموعظة الحسنة، ص (٤٢٠).

[3] الخلف: منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله، ص٣١٦.

[4] بني عامر: من فقه الدعوة، أساليب الدعوة والإرشاد، ص٣٧٧.

[5] النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص٢٤٨.

الظروف المناسبة، ويستعان بأسلوب ضرب المثل في مجال التوجيه العقائدي والخلقي، وفي تحريك نوازع الخير في النفس الإنسانية، وتربية العقل على التفكير الصحيح وإبراز أهمية الأمثال في التربية والتعليم[1].

ومن مجالات ضرب الأمثال في ضوء الكتاب والسنة ما يلي:

أولاً: من القرآن

قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [2]. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [3]. وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [4]. وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [5]

ومن السنة: قال عليه السلام: **(أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ قَالُوا لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا قَالَ فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا)**[6].

---

[1] حمود وعساف: فقه الدعوة وأساليبها، ص (٩٢).

[2] سورة البقرة، الآية (١٧).

[3] سورة البقرة، الآية (٢٦).

[4] سورة العنكبوت، الآية (٤١).

[5] سورة الجمعة، الآية (٥).

[6] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، رقم الحديث (٤٩٧).

الموقف القرآني التالي يدل على تشبيه لليهود في عدم استفادتهم فشبههم بالحمار الـــذي يحمل أسفارا لا يفقه ما فيها.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [1].

هذه الآية فيها ضرب مثل اختيار الحمار لتشبيه من يقرا كتاب الله ولا يعمل به، وهذا يثير الاشمئزاز من هؤلاء، والشعور بتفاهتهم وضياع عقولهم.

والنموذج الآخر وهو موقف القرآن الكريم من أحد الجبارين في زمـــن ســيدنا موسى عليه السلام يقال له بلعام بن باعوراء، فهذا الذي كان يعلم اسم الله الأعظم وكان على علم واسع بآيات الله ولكن بعدما دعا على موسى وقومه اندلع لسانه وذهبت منـــه الدنيا والآخرة فقال تعالى عنـــه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [2].

وقد مثله الله تعالى بالكلب لأنه ميت الفؤاد من بين السباع، فصار مثلـــه مثـــل الكلب، لأنه رأى من الآيات والعبر ولم يتعظ، ولأنه انسلخ مما أوتي من العلم ، فذلـــك الذي آتاه الله من الكرامة ما لو أراد أن يصرفها إلى الآخرة لحصل له ذلك ولكنه أخلـــد إلى الأرض فصار مثله مثل الكلب[3].

---

[1] سورة الجمعة، الآية (٥).

[2] سورة الأعراف، الآية (١٧٦).

[3] الترمذي: أبي عبد الله محمد بن علي الحكيم، الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق علي محمد البجـــاوي، دار التراث، القاهرة، د. ط، ١٩٧٥، ص (١٥).

فصار هذا الجبار يلهث إن حُمّل عليه أو ترك وهبط من مكان الإنسان إلى مكان الحيوان. ومن أحسن تقويم إلى أسفل السافلين، "فلما اندلع لسانه الذي دعا به على نبي الله موسى كان جزاؤه من جنس عمله"[1].

ففي هذا الموقف القرآني والرد الإلهي درس تربوي عظيم للداعية المسلم فهذا مثال عظيم لمثل من تعلم العلم وتفقه في الدين ولم يعمل به، ولمن لم يصن نعمة الله عليه بأن أغدق عليه العلم الواسع والعقلية المتفتحة والفكر المنير وإذا به ينسلخ من هذا ويصبح عدوا للعلم والدين فمثل هذا لن يكون أقل من الحيوان والدواب بل كان أسوء سبيلاً.

هذه النموذج هي مدعاة إلى التربية الإيمانية الوجدانية، حيث إنه دليل على ضرب المثل ليكون فيه درس تربوي للداعية بأن يتخذ مثل هذه الأمثال في دعوته، إن ضرب المثل يكون قريباً من ظروف المدعو وبيئته وأن يضرب المثل رداً على الجبابرة.

بعض الأهداف التربوية التي حققتها الأمثال القرآنية والنبوية:

للأمثال القرآنية غايات نفسية تربوية ومن أهم هذه الأهداف التربوية:

- تقريب المعنى إلى الأفهام فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية وقد بلغت الحكمة النبوية غاية في روعة الوضوح لفهم الأمور المعنوية والغيبية.
- إثارة الانفعالات المناسبة للمعنى وتربية العواطف الربانية، واختير له لفظ (الضرب) لأنه يأتي عند إرادة التأثير، وهيج الانفعال كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعاً ينفذ أثره إلى قلبه وينتهي إلى أعماق نفسه، فاختيار الحمار أو الكلب تشبيه لمن يقرأ كتاب الله ولا يعمل به.

---

[1] العفاني، سيد حسين، الجزاء من جنس العمل، تقديم أبو بكر الجزائري، مكتبة ابن تيمة للنشر- القاهرة، ط٢، ١٩٩٦، (٢٢٤/١).

- تربية العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم: تنطوي معظم الأمثال على قياس تذكر مقدماته ويطلب من العقل أن يتوصل إلى النتيجة التي لا يصرح القرآن بها في كثير من الأحيان، فيترك للعقل معرفتها.

- الأمثال القرآنية والنبوية دوافع تحرك العواطف والوجدان، فيحرك الوجدان الإرادة ويدفعها إلى عمل الخيرات واجتناب المنكرات، وبهذا تساهم الأمثال في تربية الإنسان على السلوك الخيّر وتهذيب نزعاته الشريرة. ويجب على المربي العمل على تحقيق هذا الجانب في المواقف الحياتية، والتعقيب عليها بذكر نتائجها السلوكية والاجتماعية.

فالأمثال القرآنية والنبوية سلاح بلاغي، عاطفي، عقلي، ماضٍ، بليغ الأثر عظيم النتائج، جمّ الفائدة[1].

- الأمثال القرآنية والنبوية تزود الدعاة بسلاح الصبر والتحمل وتعلمهم أن الابتلاء ليس مقصوراً عليهم وحدهم بل إن المؤمنين السابقين أصابهم مثلما أصاب الدعاة الحاضرين.

- الأمثال تمثل للدعاة أساسيات دعوتهم من التوحيد والأخلاق.

- تعرفهم بالمدعوين ودنياهم التي يعيشون بها وتبين أصنافها ومواقفهم من الدعوة.

- تبين صفة الحياة الدنيا وحالها العجيبة في فنائها وزوالها وذهاب نعيمها واغترار الناس بها فهي كمثل مطر نزل من السماء فنبت به أنواع من النبات ثم أصبح حصيداً هامداً.

- خامساً: التربية بالقصص القرآني

للقصة في التربية الإسلامية وظيفة تربوية ذلك أنها تمتاز بميزات جعلت لها آثاراً نفسية وتربوية بليغة محكمة، بعيدة المدى على مر الزمن، مع ما تثيره من حرارة

---

[1] النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها. (ص٢٤٩).

العاطفة، وحيوية وحركة في النفس، تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه وتجديد عزيمتـــه، بحسب مقتضى القصة وتوجيهها، والعبرة منها. وقبل التعرف على ممـــيزات القصـــة ينبغي أن نتعرف على معنى القصة:-

قصّ في اللغة: بمعنى تتبع، وقص أثره بمعنى تتبعه"[1].

والقصة: هي حكاية تحكي ما جرى على فرد أو جماعة وما نالهم في النهاية من حسن الجزاء والنعيم والذكر، لما قدّم من عمل صالح أرضى الخالق وأصلح به شـؤون الخلق، أو تروي ما انتهى إليه أمر المخالف الذي همه إرضاء نفسه، وإشباعه رغباتـــه واتباع هواه من عقاب مؤلم سواء في الدنيا أو الآخرة"[2].

أهمية القصة التربوية:

للقصة في التربية الإسلامية وظيفة تربوية لا يحققها أي نو ع من أنـــواع الأداء التربوي، وذلك لأن لها مميزات لها أثار تربوية ونفسية بليغة ومحكمة وبعيدة المـــدى على مرور الزمن، فضلاً عما تثير من حرارة العاطفة وحيوية في النفس تدفع الإنســان إلى أن يغير سلوكه ويجدد عزيمته بحسب مقتضى القصة وتوجيهها وخاتمتها، والعـبرة منها[3].

المميزات التربوية للقصص القرآنية:

١- تشد القصة القارئ، وتوقظ انتباهه، دون توانٍ أو تراخٍ، فتجعله دائم التـــأمل فـــي معانيها والتتبع لمواقفها، والتأثر بشخصياتها وموضوعها حتى آخـــر كلمـــه وذلـك أن القصة تبدأ بمطلب أو وعد أو إنذار بخطر أو ما يسمى عقدة القصـــة، وقـد تـتراكم

---

[1] بني عامر: من فقه الدعوة أساليب الدعوة والإرشاد، ص (٣٨٠).

[2] طهطاوي، سيد أحمد، القيم التربوية في القصص القرآني، ص١٦٦.

[3] حمود، وعساف، فقه الدعوة وأساليبها، ص٨٢.

المشاهد، قبل الوصول إلى حل هذه العقدة، مطالب أو مصاعب أخرى، تزيد القصة حبكاً، كما تزيد القارئ أو السامع شوقاً وانتباهاً، وتلهفاً على الحل أو النتيجة.

٢- تتعامل القصة مع النفس البشرية في واقعيتها الكاملة، متمثلة في أهم النماذج التي يريد القرآن إبرازها للكائن البشري، ويوجه الاهتمام إلى كل نموذج بحسب أهميته، فيعرضه عرضاً صادقاً ويحقق علاج النفس البشرية علاجاً واقعياً، فالقصة القرآنية ليست غريبة عن الطبيعة البشرية حيث تنتهي القصة بانتصار الدعوة الإلهية، ووصف النهاية الخاسرة للمشركين.

٣- تربي القصة القرآنية العواطف الربانية وذلك عن طريق:

- إثارة الانفعالات كالخوف والترقب، وكالرضا والارتياح والحب، وكالتقزز والكره، كل ذلك يثار في طيات القصة بما فيها من وصف رائع ووقائع مصطفاة.

- المشاركة الوجدانية حيث يندمج القارئ مع جو القصة العاطفي حيث يعيش بانفعالاته مع شخصياتها.

- توجيه جميع الانفعالات حتى تلتقي عند نتيجة واحدة هي النتيجة التي تنتهي إليها القصة.

- تمتاز القصة القرآنية بالإقناع الفكري بموضوع القصة عن طريق:-

- الإيحاء، والاستهواء والتقمص، فالقصة توحي للإنسان أهمية مبادئ بطل القصة، وتستهويه صفات البطل وانتصاره بعد صبر طويل، فيتقمص هذه الصفات حتى إنه يقلدها ولو لم يقصد ذلك وإنه ليردد بعض المواقف ويسترجعها من شدة تأثره بها.

- عن طريق التفكير والتأمل: فالقصص القرآني لا يخلو من محاورات فكرية ينتصر فيه الحق، ويصبح مرموقاً محفوفاً بالحوادث والنتائج التي تثبت صحته، وعظمته في النفس وأثره في المجتمع.

وبهذا تحيط القصة القرآنية نفس الناشئ بالتربية الربانية من جميع جوانبها العقلية والوجدانية والسلوكية[1].

٤- وجود فجوة بين المشهد والآخر يملؤها الخيال: وهذه الخاصية أو الميزة تظهر في معظم القصص القرآني.

٥- التصوير وله ثلاثة ألوان في القصص القرآني وهذه الألوان هي: أ- قوة العرض كمشهد نوح -عليه السلام- مع ابنه في الطوفان، ب- رسم الشخصيات رسم القرآن الكريم شخصية عيسى -عليه السلام- في كونه نموذجاً للتسامح والحكمة[2].

قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۝ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [3].

وللقصة سحر أخاذ وتأثير نفّاذ، وللنفس تعلق بها كبير، تجعل السامع مقتنعاً بالفكرة وأن في قصص الأنبياء مع أممهم عبرة لأولي الألباب، وفي القصة عبرة دون شك قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [4] وقال تعالى أيضاً: ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾.

والقصة من أنجح الأساليب التربوية للنصح والإرشاد، لما لها من تأثيراتها النفسية. والملاحظ في قصص القرآن أن فيها تكراراً ولكن الهدف والغاية من التكرار أن في كل موضع تجلى ويبرز موضوعاً وعبراً قيمة جديدة وعظات نافعة.

---

[1] النحلاوي: أصول التربية وأساليبها، ص٢٣٧.

[2] حمودة: محمود محمد، وعساف: محمد مطلق، فقه الدعوة وأساليبها، ص٨٥.

[3] سورة مريم: الآية (٢٢-٢٣).

[4] سورة يوسف، الآية (١١١).

الآثار التربوية للقصة:-

-إن لأسلوب التعليم من خلال القصة آثاراً نفسية وتربوية بليغة محكمة، والدعوة بالقصة بشؤون المدعوين يشوق انتباههم ويشد في عواطفهم ووجدانهم.

- أبرز القرآن أهمية القصص الإيجابية وتأثيرها النفسي والأخلاقي في الدعوة والتربية وتهذيب النفس البشرية، وقد ركز القصص القرآني على الجوانب المادية والروحية لترقية الوجدان وترسيخ الفضائل[1].

- الغرض الأول والأساسي من القصص القرآني هو علاج الإنسانية وليس مجرد سرد لأحداث القصة.

- يقف القرآن الكريم في تفصيل الحوادث على اللب الذي هو عبرة الحادثة وهذا التحليل يقتضي من الداعية أن يكون حسن الفهم لدعوته حتى لا يقع فيما يخل ويمل.

- إن كل قصة قد (يبرز) لها معانٍ عدة فعلى الداعية أن يسوقها في الموقف الذي يناسبها لأنها في كل مرة تضرب على وتر جديد[2].

- القصة تربوياً توجيه غير مباشر نحو التربية العملية السليمة في الخلق النبيل والمعاملة الحسنة[3].

- والقصة تثبيت لقلب النبي -صلى الله عليه وسلم- والدليل على صدق النبوة وحقيقة الرسالة، وهي ضرب الأمثال للرسول -صلى الله عليه وسلم- في الصبر والتحمل وضرب الأمثال لصفات الحق -عز وجل-.

---

[1] تيسير: طه، أساليب تدريس التربية الإسلامية، دار الفكر، د. ط، ١٩٩٩، ص٤٨.

[2] الخولي: البهي، تذكرة الدعاة، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٦، ١٩٧٩، ص٣٦٣.

[3] الهاشمي: عبد الحميد، الرسول العربي المربي، دار الثقافة للجميع، سوريا - دمشق، ط١، ١٩٨١. ص ٢٧٨.

ومن نماذج القصة في القرآن الكريم:

قصة قارون: قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۞ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ۞ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ۞ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ۞ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۞ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۞ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [1].

فهذه الآيات القرآنية تبين الجوانب التربوية التالية:

- تبين أن النعمة تحتاج إلى الشكر، فبالشكر تدوم النعم وبالمعاصي تزول.
- تبين فضيلة العلم الصالح بأن هو الهادي إلى طريق الجنة.
- تبين هذه الآيات عاقبة الخير والصلاح وعاقبة الشر والفساد وبأن الله لا يحب المفسدين، كما تبين قدرة الله العظيمة على عبادة.

---

[1] سورة القصص، الآية (٧٦-٨٤).

- تبين أن الله يعطي الدنيا لم احب ولمن لم يحب، وأما الدين فلا يعطيه إلا لمن يحب، فقارون أعطاه الدنيا وموسى أعطاه النبوة.
- أن أصحاب الجنة هم المتواضعون الذين لا يريدون العلو في الأرض ولا الفساد وهم أهل التقوى، وأن أهل النار هم المتكبرون الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

ومثل قصه قارون مع موسى -عليه السلام- وغيرها من القصص كقصة موسى عليه السلام مع فرعون وقصة إبراهيم مع أبيه وغيرها كلها قصص تربوية تدل على موقف القرآن الكريم من الجبابرة وكيف أن الأنبياء عليهم السلام ردوا على الجبابرة في عهدهم.

- سادساً: التربية بأسلوب الترغيب والترهيب:

إن القرآن الكريم يوازن بين الأمرين فيذكر صفات الرحمة وصفات القوة كما في قوله تعالى: ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول﴾ [1] وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] وقوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [3]. ومن السنة النبوية: أنه كان صلى الله عليه وسلم يمر بآل ياسر وهم يعذبون بسبب إسلامهم فيقول لهم" صبراً آل ياسر موعدكم الجنة"[4].

---

[1] سورة غافر، الآية ٣.

[2] سورة الأعراف، الآية ١٦٧.

[3] سورة الأنبياء، الآية (٩٠) .

[4] ابن هشام: السيرة النبوية، ٣٤٢/١.

عرف الأستاذ النحلاوي الترغيب بقوله: "هو وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة ومتعة آجلة، مؤكدة، خالصة من الشوائب مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيئ ابتغاء مرضاة الله.

والترهيب: "هو وعيد وتهديد بالعقوبة تترتب افتراض أثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عبادة، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا دائماً على حذرٍ من ارتكاب الهفوات والمعاصي"[1].

وعرفها الدكتور عبد الكريم زيدان بما يلي:.

الترغيب: ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق وثبات عليه.

من رغب: وهو والسؤال والطمع، ورغبة أعطاه ما رغب.

والمراغب: والأطماع. والرغائب: ما يرغب فيه من الثواب العظيم[2].

الترهيب: ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[3].

الترهيب: من رَهِبَ، ورهب الشيء: خافه والرهبة: الخوف والفزع. ورهبه واسترهبه: اخافه وفزعه[4]

---

[1] النحلاوي: عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، وفق سوريا، ط٢، ١٩٩٦، ص٢٨٧.

[2] الخولي: البهي، تذكرة الدعاة، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٦، ١٩٧٩، ص٣٦٣.

[3] ابن منظور: لسان العرب، ٤٢٢/١.

[4] ابن منظور: لسان العرب، ٤٣٦/١.

أساليب الترغيب والترهيب:

- من أساليب الترغيب والترهيب تذكير القوم بما هم عليه من نعم، وإن من شأن ذلك أن يدعوهم إلى طاعة الله الذي أنعم عليهم هذه النعم، والتحذير من فقدهم لها إذا امتنعوا من الاستجابة وكفروا بالله، ومع زوال النعم نزول العذاب"[1].

قال تعالى عن صالح -عليه السلام-: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [2].

ومن هنا كان للترغيب أثره البالغ في هداية البشر الصالحين إلى طريق الحق والخير والسعادة والفضيلة وإبعادهم عن طريق الشر والباطل. فهناك نفوس لا تستجيب إلا إذا رغبت وبيّن لها جزاء عملها، وهناك نفوس لا تستجيب إلا إذا رهبت وخوفت وبيّن لها سوء عاقبة عملها.

وعلى الداعية أن يسير على نهج الكتاب والسنة في الترغيب والترهيب، يستخدم أيهما في المكان الذي يراه مناسباً، مراعياً نفسيات المخاطبين، فقد يستعمل الترغيب تارة، والترهيب أخرى، وتارة يجمع بين الترغيب والترهيب.

إن في الترغيب تشويقاً للعمل، وحثاً على البذل وحفزاً للهمة، وشحذاً للعزيمة، وإن في الترهيب تخويفاً وتحذيراً من طول الأمل، وتزهيداً في الدنيا، والترغيب والترهيب يصل القلوب بالله، ويهذب الأرواح ويطهر النفوس، ويطبعها بطابع الفضائل ويغرس فيها مكارم الأخلاق، ويدفعها إلى العمل الصالح. ويبعدها عن العمل الفاسد. والدعوة باستعمال أسلوب الترهيب والتشويق تسلك سبيلها إلى القلوب وتهيمن على

---

[1] زيدان: أصول الدعوة، ص٢٣٩.

[2] سورة الأعراف، الآية ٧٤.

الشعور، ويقبل عليها المعرض عنها حباً في طاعة الله، وطمعاً في الفـــوز برضوانـــه ونعيم جنانه.

والدعوة باستعمال أسلوب الترهيب والتخويف تقرع أبواب القلوب المغلقة وتفتح سدودها، وتوقظ الضمائر الغافلة، فتعود إلى رشدها، وتستشعر الرهبة من بطـــش الله. واستعمالهما، معاً يزيد العبد قرباً من الله، فيقشعر جلده خشية من الله ثم يطمئـــن قلبـــه وترتاح نفسه ويلين قلبه إلى ذكر الله[1].

وللترغيب وسائل استعملها الأنبياء في دعوتهم الجبابرة ينبغي اتباعها والعمل بها مـــن هذه الوسائل:

١- الترغيب بمحو الله للخطايا وعفوه وتكفيره للسيئات وتجاوزه عنها. قال تعالى: (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون) [2]

٢- الترغيب بمغفرة الله. قال تعالى: (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً) [3].

٣- الترغيب ببيان سعة- رحمة الله- وأنها تغلب غضبه. قال تعالى: (ورحمتي وسعت كل شيء)

٤- الترغيب ببيان الأجر العظيم لمن يعمل صالحاً. قال تعـــالى: (إلا من تاب وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة) [4]

٥- الترغيب بفتح باب الأمل والرجاء والتوبة لله تعالى على عباده التائبين. قال تعـالى: (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) [5].

٦- الترغيب بإقبال الله على عبده متى ما علم منه صدقاً في توبته. قال تعالى: (قـــال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول الله -عز وجل-: (من جاء بالحسنة فله عشـــر

---

[1] سورة الشورى، الآية (٢٥).
[2] سورة نوح، الآية (١٦).
[3] سورة الأعراف، الآية (٢٠).
[4] سورة مريم: الآية (٦٠).
[5] سورة مريم، الآية (٦١).

امثالها وأزيدُ ومن جاء بالسيئة فجزاءه سيئة ومثلها أو أغفر،ومن تقرب منـــي شـــبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن آتاني يمشـــي اتيتـــه هروله، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة) [1].

٧- الترغيب بما أعد الله للمتقين من الأمن من يوم الفزع والحساب. قـــال تعـــالى: (إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون) [2]

وللترهيب أيضاً وسائل منها:-

١- الترهيب من عذاب الله وشديد غضبه وانتقامه من العصاه. قال تعالى: (فكلا أخذنا بذنبه) [3].

٢- الترهيب بالعقاب الذي أعده لمن يعمل العمل السيئ. قال تعالى: (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوء أن كذبوا بآيات الله وكانوا به يستهزئون) [4]

٣- الترهيب ببيان حال المكذبين من الأمم السابقة قبلهم وكيف أخذهم الله أخـــذ عزيـــز مقتدر. قال تعالى: (إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار، كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب) [5].

٤- الترهيب بالقبر وأهواله والقيامة ومخاطرها. قال تعـــالى: (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً) [6]

---

[1] اخرجه مسلم في صحيحه، كتاب بالذكر والدعاء والتوبه والإستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقـــرب إلى الله تعالى، برقم ٦٩٣١، ص١٢٩٠.

[2] سورة الدخان، الأية (٥١).

[3] سورة العنكبوت، الأية (٤٠).

[4] سورة الروم، آية (١٠).

[5] سورة ال عمران، الأية (١٠-١١).

[6] سورة الإسراء، الأية (٩٧).

ومن النماذج التي تدل على أسلوب الترغيب قصة سيدنا نوح عليه السلام مع قومه: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۞ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [1].

فهذه الآيات أبانت أن سيدنا نوح عليه السلام قد اتبع أساليب ترغيبية لقومه لعلهم يعقلون ويؤمنون بالدعوة والإيمان الخاص لله تعالى وتوحيده، فقد رغبهم إن آمنوا بالدعوة بخير الدنيا والآخرة، بالرزق الوفير الميسور والجنات والبنين والأموال والكثير من النعم مع ذلك أصروا واستكبروا على دعوة سيدنا نوح عليه السلام.

فسيدنا نوح عليه السلام يربي الداعية على أن يستخدم أسلوب الترغيب أولاً مع المدعو ذلك لأن هذا الأسلوب محبب للنفس ومقرب للعقل، والنفس بذاتها تفضل الشيء المحبب والمرغب به واللطف واللين، ومن النماذج الدالة على أسلوب الترغيب في القرآن الكريم قصة مؤمن آل فرعون:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۞ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۞ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۞ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ۞ لَا جَرَمَ

---

[1] سورة نوح، الآية (٧-١٢).

﴿أَمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[1].

فقد حاول مؤمن آل فرعون بأسلوب الترغيب أن يستميل قلوب القوم وعواطفهم، فخاطبهم بنداء يشعرهم فيه أن هناك رابطة تجمع بينهم فيقول بلطف ولين "يا قوم" فهم من قوم واحد فلعل أسلوب الترغيب يجعلهم ينظرون إليه ولكلامه باهتمام ويأخذونه مأخذ البراءة والإخلاص ومع ذلك استمر القوم في طغيانهم.

ولكن هناك من لا يتعظ ولا يلين بهذا الأسلوب فلا بُد من استخدام الترهيب والشدة والقسوة.و لعل الترهيب والخوف يكون لهما نتيجة مع المذعو، ولربما يكون للخوف والرهبة والقسوة أقوى وقع في النفس وتأثير في العقول والقلوب.

ومن النماذج الدالة على الترهيب في القرآن الكريم. قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ۝ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ۝ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۝ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى ۝ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ۝ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۝ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾[2].

هذه الآيات تخاطب أبا جهل بأسلوب فيه شدة وقسوة، محاطة بالتهديد والوعيد وأول تهديد وترهيب هو "إن إلى ربك الرجعى" والتهديد الثاني في قوله "ألم يعلم بأن الله يرى) أي يرى أفعاله وأقواله وسيحاسبه الله عليها ثم يشتد التهديد والترهيب والتخويف بـ (كلا) ردع وزجر، ثم التخويف والترهيب الواضح الصريح في النهاية "كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية. ناصية كاذبة خاطئة. فليدع ناديه. سندع الزبانية" إنه وعيد فيه

---

[1] سورة غافر، الآية (٣٨-٤٤).

[2] سورة العلق آية من ٦-١٩.

تربية للداعية أن مثل هذا التخويف والترهيب ينبغي أن يردع المدعوين عن الباطل والطغيان والتجبر وأن من يفعل فعل أبي جهل فإنه سيلقى عذابه أيضاً.

مميزات الترغيب والترهيب القرآني:

والترغيب والترهيب يمتاز بميزات لا نجدها في أسلوب تربوي آخر ومن هذه المميزات:

- يعتمد الترغيب والترهيب القرآني على الإقناع والبرهان، فليس من آية فيها ترغيب أو ترهيب بأمر من أمور الآخرة إلا ولها علاقة أو فيها إشارة إلى الإيمان بالله وباليوم الآخر على الغالب، وهذا يعني تربوياً أن نبدأ بغرس الإيمان والعقيدة الصحيحة في نفوس الناشئة لترغيبهم في الجنة وترهيبهم من عذاب الله. وليكون هذا الترغيب والترهيب ثمرة سلوكه.

- كون الترغيب والترهيب القرآني مصحوبين بتصور فني رائع لنعيم الجنة أو لعذاب جهنم بأسلوب واضح، يجب على المربي أن يستخدم الصور والمعاني القرآنية في عرضة عقاب الله وثوابه.

- يعتمد الترغيب والترهيب على إثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية كعاطفة الخوف من الله، والخشوع والتذلل والخضوع لله تعالى، والرجاء والطمع في رحمة الله والأمل في ثوابه.

- تعتمد التربية بالترغيب والترهيب على ضبط الانفعالات والعواطف والموازنة بينهما. فلا يجوز أن يطغى الخوف على الأمل والرجاء فيقنط المرء من عفو الله ورحمته وكذلك لا ينبغي أن يطغى الفرح فينسى عقاب الله. وينبغي أن يجمع بين الخوف والرجاء الخوف من عقاب الله، فلا يطغى ولا يمتلكه الغرور، والرجاء لرحمة الله فلا ييأس من عفوه[1].

---

[1] النحلاوي: أصول التربية الإسلامية، ص ٢٥٨.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد[1]".

وهكذا ينبغي أن نُربي العواطف الربانية عند الناشئين بتوازن فلا إفراط ولا تفريط والجمع بين الرجاء والخوف، والترغيب والترهيب أسلوب تربوي جميل ذو مذاق رائع. فالإنسان يذوق حلاوة الترغيب فيأمل بالمغفرة ويتذوق أسلوب الترهيب فيخاف الله وهما أسلوبان يجب على الإنسان أن يضعهما نصب عينيه باتزان لا تطغى كفة على كفة، فالرجاء والخوف في ضمير الإنسان طيلة حياته ويتصور الجنة ويأملها ويتصور النار ويخافها وعليه أن يختار.

والدروس التربوية المستفادة من أسلوب الترغيب والترهيب ما يلي:

- الالتزام بشرع الله، والخضوع والانقياد التام والعبودية لله وهو ثمرة الخوف من الله.
- الطمع في رحمة الله والأمل في ثوابه وجزيل الأجر عنده والخوف من عذابه يكون عند الإنسان ككفتي ميزان فلا إفراط ولا تفريط.
- ضبط السلوك الإنساني بإتباع الفضائل طمعاً بالأجر والثواب، والبعد عن الرذائل التي نهى عنها الشرع خوفاً مما يعقبها من المنغصات.
- الترغيب ذكر الإنسان الفاضل والعاصي برحمة الله وفضله فلا يقنط، والترهيب يذكره بمصيره الذي ينتظره فلا يستهين بالمعصية.

---

[1] النووي: محيي الدين بن زكريا بن شرف، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي، د. ط، ١٩٧٣، ٧٤١.

المبحث الثاني

مصير الجبابرة وأقوامهم كما ورد في القرآن الكريم

إن حكمة الله فوق عقول البشر ومداركهم، وتظهر هذه الحكمة من خلال اختلاف أنواع العقاب لمن أهلكهم الله مع أنهم مشتركون في الكفر، فقصص القرآن الكريم بينت لنا أن كل قوم من الأقوام المذكورين فيه كان لهم عقاب ومصير مختلف عن عقاب الآخرين ليكون في هذا دروس وعبر لمن بعدهم بأن من يتمثل بهم سيكون عقابه كالسابقين. كما أن التنوع في العقاب يدل على قدرة الخالق وتناسب الذنب فيجب أخذ الدروس والعبر والعظات من قصص القرآن الكريم، وفيما يلي توضيح موجز لمصير كل قوم أو شخصية كفرت بدعوات الأنبياء عليهم السلام وبيان نوع العذاب الذي حلّ بهم.

أولاً: الغرق بسبب الطوفان

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۞ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [1].

فسيدنا نوح-عليه السلام- الوالد الملهوف يبعث بالنداء تلو النداء، وابنه الفتى المغرور يأبى إجابة الدعاء، ولكن الموجة الغامرة تحسم الموقف بسرعة خاطفة راجفة وينتهي كل شيء كأن لم يكن دعاء ولا جواب[2].

---

[1] سورة نوح، الآية (١٠).

[2] قطب: في ظلال القرآن، (٤/ ١٨٧٨).

نوح -عليه السلام- وعد قومه فقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [1] فلما كفروا أبدلهم الله بما وعدهم جنات وأنهار بنقم فأرسل السماء مدرارا وفجر الأرض عيونا لكن على سبيل الهلاك والتدمير لا على سبيل الإنعام والتكريم، وأذهب الله أموالهم وأبناءهم ودورهم فبعداً للقوم الكافرين.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [2].

فلم تتمد ألف سنه الا خمسين عاماً غير العدد القليل الذين آمنوا بدعوة سيدنا نوح -عليه السلام-، وجرف الطوفان الكثرة العظمى، وهم ظالمون بكفرهم وجحودهم وإعراضهم عن الدعوة ونجا العدد القليل من المؤمنين ومضت قصة الطوفان والسفينة، آيه للعالمين تتحدث عن عاقبة الكفر والظلم على مدار الأيام والسنين[3].

فقوم نوح ما كذبوا نوحاً وحده، ولكن نوحاً إنما جاءهم بالعقيدة الواحدة التي أرسل بها الرسل جميعاً، وعليه فإن تكذيبه يعني تكذيب الرسل جميعاً، وقاله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [4]".

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ أي آية الطوفان لا تنسى على الدهر وكل من نظر فيها اعتبر إن كان له قلب يتدبر ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي حاضر لا يحتاج إلى إعداد[5]".

هذه أدلة على عاقبة قوم نوح الذين كذبوا وكفروا بدعوة سيدنا نوح -عليه السلام -، ومن الجوانب التربوية المستفادة من هذا الموقف أن الإنسان عليه أن يضحي

---

[1] سورة نوح، الآية (١٠).

[2] سورة العنكبوت، الآية (١٤).

[3] قطب، في ظلال القرآن، (٥/ ٢٧٢٨).

[4] سورة الفرقان، (٣٧).

[5] قطب، في ظلال القرآن، (٥/ ٢٥٦٤).

بأغلى شيء يملكه مقابل الحفاظ على دعوة التوحيد، وأن لا ييأس من رحمة الله، فسيدنا نوح قضى ألف سنه إلا خمسين عاماً من أجل العقيدة التوحيدية.

وبعد هذا الزمن الطويل ألف سنة إلا خمسين عام في الدعوة إلى التوحيد الخالص لله وعدم استجابة القوم للدعوة نجد نوحاً -عليه السلام- يدعوا إلى ربه في قوله تعالى: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾ [1]. فقد طلب نوح -عليه السلام- محو الكافرين جميعاً إنقاذاً لإيمان المؤمنين، فاستجاب له ربه وأمره أن يعد العدة لذلك، وأعلمه أنه سيهلكهم بالغرق، فعليه أن يعد لنفسه وللمؤمنين سفينه تنجيه من الغرق، وجاء أمر الله بالطوفان الرهيب وغرق القوم وأبنه معهم[2]. ولعل تطاول المدة في رسالة نوح -عليه السلام- وإصرارهم على التكذيب كان سبباً في عقوبتهم بالغرق على هذا النوع المستأصل.

ثانياً: عذاب النار لقوم إبراهيم

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [3].

فالآية تدل على أن الله سبحانه وتعالى أمهل الكافرين بعد أن متعهم في الدنيا، ثم أنظرهم ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر إلى عذاب النار وبئس المصير[4].

وهذا بيان أن الذين صدوا عن الإيمان بدعوة إبراهيم -عليه السلام- سيكونون وقوداً في جهنم، وكفى بجهنم عذاباً لهؤلاء الكفار[5].

---

[1] سورة نوح، الآية (٥٧).

[2] حفني: عبد الحميد، إنصاف الخصم في القرآن وأثره الإعلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٩٩٢، ص ١٥٩.

[3] سورة البقرة: الآية (١٢٦).

[4] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (١/ ١٨٧).

[5] الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان / ط١/ ١٩٩٥/ ٤- ١٠٥.

ولا ننسى موقفهم من إبراهيم -عليه السلام- حينما أمر النمرود بإحراقه في النار فقال عز وجل: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۝ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [1]. لا نسأل كيف لم تحرق النار إبراهيم -عليه السلام- والمعروف أن النار تحرق الأجسام الحية؟ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2] فعلينا أن نؤمن بأن هذا قد كان، لأن صانعه يملك أن يكون، أما كيف صنع بالنار فإذا هي بردٌ وسلام؟ فذلك سكت عنه القرآن لأنه لا سبيل إلى إدراكه بعقل البشر المحدود. أما الملك (النمرود) فقد أهلك هو والملأ من قومه بعذاب من الله ونجى إبراهيم من الكيد الذي أُريد به، وباء الكائدون بخسارة ما بعدها خسارة[3]. فالملك وقومه أرادوا أن يكيدوا لإبراهيم الإضرار فما كانوا إلا مغلوبين ومقهورين، فقد فزعوا إلى القوة والجبروت فنصره الله وقواه[4]. وقال تعالى أيضاً: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [5]" كان في نجاته من النار على النحو الخارق الذي تمت به آية لمن تهيأ قلبه للإيمان، ولكن القوم لم يؤمنوا على الرغم من هذه الآية الخارقة، فدل هذا على أن الخوارق لا تهدي القلوب، وفي الآية دلالة على عجز الطغيان عن إيذاء رجل واحد يريد الله له النجاة، وبعد أن يأس إبراهيم -عليه السلام- من إيمان قومه

---

[1] سورة الأنبياء، الآية (٦٨-٦٩).

[2] سورة يس، الآية (٨٢).

[3] قطب: في ظلال القرآن، ٤/٢٣٨٨.

[4] القاسمي: محمد جمال الدين، محاسن التأويل، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٤، ٥/١٦٢.

[5] سورة العنكبوت، الآية (٢٤-٢٥).

يقول لهم إنكم اتخذتم الأوثان من دون الله لا اعتقاداً ولا اقتناعاً بأحقيه هذه في العبـــادة إنما يجامل بعضكم بعضا، ولا يريد الصاحب أن يترك عبـــادة صاحبـــه، فيســترضي الصاحب صاحبه على حساب العقيدة، ويبين لهم إبراهيم -عليه السلام- أن هذه المـودة التي بينهم هي يوم القيامة عداء ولعن وانفصام ويوم القيامة يتنكر التابع للمتبوع ويكفـر الأولياء بالأولياء، ويلعن كل غوي صاحبه الذي أغواه وهذا الكفر والتلاعن لا يدفع عن أحد عذابه ثم إن النار التي أرادوا أن يحرقوه بها نصره الله منها ونجاه وأما هـــم فـــلا نصرة لهم ولا نجاه[1].

فهناك توافق بين محاولاتهم تعذيب إبراهيم بالنار وما اعد الله لهم من عذاب قال تعالى: (قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار) [2]. فنارهم أطفأها الله بل جعلـها على إبراهيم برداً وسلاما أما نار الأخره فهي عليهم موصده في عمدٍ ممـــددة.. ومـــن انجائه معجزة تعنوا لها الوجوه، قال تعالى: (فبهت الذي كفر) كما أنها مع الكفار جعلتهم يفيقون ويرفعون راية التسليم، قال تعـــالى: (فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا أنكم انتم الظالمون) وفي القصة دلالة تربوية على طلاقة القدرة الإلهية تجري بالأسباب ببعضها وبدونـــها وبضدها، قال تعالى: (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون).

ثالثاً: الريح الحاصب، وإمطار الحجارة

فعذاب قوم لوط بالحجارة والكبس الأرضي عليهم وجعل عاليها سافلها مناســب لجرمهم فلقد مسخوا إنسانيتهم وطمسوا فطرتهم ففعلوا الفاحشة بما لم يفعله أحـــد مـــن الأولين فكان العذاب أن طمس الله على عيونهم ونكس عليهم الأرض وجعـــل عاليـــها سافلها والرسل عليهم حجارة من سجيل فمثل هذا يرجم الشياطين كما يفعـــل الحجيـــج

---

[1] قطب: في ظلال القرآن، ٢٧٣٢/٥.

[2] سورة البقرة، الآية (١٢٦).

وبمثل هذا يرجم المحصنون من الزناة لكن زاد بأن طهر الأرض منهم فجعل عاليها سافلها ولأنها أيضاً أشد فحشاً من الزنا كان الرجل بحجارة من سجيل من قبل جند الله.

هذا مشهد التدمير الذي أصاب القرية وأهلها جميعاً - إلا لوطاً وأهله المؤمنين-، وقد كان هذا التدمير بأمطار وأحجار ملوثة بالطين، قلبت المدينة وابتلعتها وما تزال آثار هذا التدمير باقية تحدث عن آيات الله لمن يعقلها ويتدبرها[1]".

قال تعالى في العقاب الذي حلّ بقوم لوط: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ۝ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۝ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۝ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا ۝ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾[2]".

حاصباً: أي ريحاً تحصبهم بالحجارة أي ترميهم. (والسحر): أي بقطع من الليل وهو السدس الأخير من الليل، إضافة إلى عقاب آخر ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي فمسخناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق فهؤلاء يستحقون (عذاب مستقر): أي ثابت قد استقر عليهم إلى أن يفضي بهم إلى عذاب الآخرة[3]".

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾[4]".

فقد أمطر الله عليهم حجارة من سجيل وهي حجارة قوية شديدة، ومتتابعة يتبع بعضها بعضاً في النزول، فأهلك الله قوم لوط وقريتهم وجعل العالي منها سافلاً[5].

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، (٥/ ٢٧٣٤).

[2] سورة القمر: الآية: (٣٤ - ٣٨).

[3] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل: (٦/ ٥٨).

[4] سورة هود، الآية (٨٢).

[5] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٤٩٨/٢.

فضلاً عن ذلك ﴿أمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود﴾ من سجيل:- شيء مركب من الحجارة والطين بشرط أن يكون غاية في الصلابة فضلاً عن أنها من سجيل أيضاً هي موصوفة بأنها منضود:- أي تلك الحجارة كان بعضها فوق بعض في النزول. وهذا على سبيل المبالغة[1].

وقوله أيضاً: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [2]".

رابعاً: الرجفة الشديدة، ويوم الظلة

لقد دعا شعيب عليه السلام قومه إلى عبادة الله ونهاهم عن إنقاص المكيال وأرمهم بالوزن بالقسطاس وذكرهم بما جرى بالأمم السابقة لكن قوم شعيب لم يوفوا بالكيل بالميزان وبخسوا الناس أشيائهم وأفسدوا في الأرض فأنصبت دعوة شعيب -عليه السلام- على إنكار هذه الجرائم ثم بدا يعالج الجرائم فقال تعالى (أوفا الكيل ولا تكونوا من المخسرين، وزنوا بالقسطاس المستقيم) [3]. فأمرهم بالقسط والعدل ونهاهم عن البخس والإفساد في الأرض ولكن قومه لم يؤثر فيهم كل ما دعا إليه فما كان جوابهم لله كما قال تعالى: (قال الملأ الذين أستكبروا من قومه لنخرجنك...) [4]. ثم طلبوا من شعيب العذاب من الله تعالى[5].

ويخبر الله تعالى عن شدة كفر قوم شعيب وتمردهم وما هم فيه من الضلال، وما جبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحق ولهذا أقسموا فيقول: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ

---

[1] الرازي، التفسير الكبير، (٦/ ٣٨٢).

[2] سورة العنكبوت: الآية (٤٣).

[3] سورة الشعراء، الآية (١٨١-١٨٢).

[4] سورة الأعراف، آية(١٨٢).

[5] الخالدي: القصص القرآني، ٣٢/٢.

خامساً: مصير قوم ثمود وهلاكهم بالطاغية

قال تعالى: "فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية[1]" والطاغية:- هي الصيحة المجاوزة في القوة والشدة وقيل هي الرجفة وهي الصاعقه أيضاً[2] وقيل إن ثمود أهلكوا بالطاغية: أي أهلكهم الله تعالى (بالطاغية) وهي الواقعة المجاوزة للحد وهي الصيحة وفسرت الصيحة على أنها الصاعقة أو الرجفة وهي الزلزلة المسببة عن الصيحة[3]".

وقوله أيضاً في قوم ثمود: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [4]، أي صرعى لا أرواح فيهم ولم يفلت منها صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى فجاءتهم الصيحة من السماء ، ورجفة من أسفل منهم، فاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة [5]".

ولا بد هنا من بيان سبب هلاك قوم ثمود، وهو أنهم عقروا الناقة، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [6]" فهم تآمروا على عقر الناقة والوقوف ضد سيدنا صالح -عليه السلام-، ولكن هناك فائدة يجب التنويه إليها ألا وهي أن عقر الناقه فعل قام به شخص واحد وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [7] وكذلك فالمقصود من قوله تعالى: ﴿إِذِ انْبَعَثَ

---

[1] سورة الحاقة، الآية (٥).

[2] الرازي، التفسير الكبير، (١٠/ ٦٢١).

[3] الألوسي: روح المعاني، (٢٩/ ٤٠).

[4] سورة هود، آية (٦٥-٦٧).

[5] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، (٢/ ٢٥٦).

[6] سورة الأعراف، الآية (٧٧)

[7] سورة القمر، الآية (٢٩).

أَشْقَاهَا﴾ [1]" الذي عقر الناقة وهو: مقدار بن سالف وكان قصيراً لونه أحمـــر، ولكـــن نسب الفعل إليهم جميعاً لأنه كان برضاهم وأمرهم، والراضي بالعمل القبيـــح شـــريك بالجريمة[2]".

سادساً: الريح الصرصر العاتية

أرسل الله تعالى سيدنا هود -عليه السلام- إلى قوم عاد إلى عبـــادة الله لكنـــهم كذبوه واتهموه بالسفاهه والكذب وأغتوا بقوتهم، قال تعالى: (ألم ترى كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد) وقوله تعالى: (فأما عاد استكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة). وقال تعـــالى: (اتبنون بكل ريع آية تعبثون، وتتخذون مصانع لعلك تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين) [3] وذكرهم هود عليه السلام بنعم الله لكن قومه قادتهم قوته إلـــى البطش والتجبر ودعاهم هود -عليه السلام- بالترغيب والتحبب فقال تعـــالى: (استغفروا ربكم ثم توبوا غليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولا مجرمين)[4] وبالترهيب قال تعالى: (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ولما وجد سدنا هود عليه السلام عن إصرار من قومه على الكفر طلب من ربه أن ينصره وأن يوقع العذاب بالقوم[5] قال تعالى: ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾ [6]"، والصرصـــر: الشـــديدة الصوت لها صرصرة، وقيل الباردة من الصرصر كأنها التي كرر فيها البرد وكـــثر،

---

[1] سورة الشمس، الآية (١٢).

[2] الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت- لبنان، ط٤، (١٩٨١)، (١/ ٤٦٠).

[3] سورة الشعراء، الآية (١٢٨-١٣٠).

[4] سورة هود، الآية (٥٢).

[5] الخالدي: القصص القرآني، ٢٣٨/١.

[6] سورة الحاقة، الآية (٥).

فهي تحرق بشدة بردها، وعاتية: يعني أن الريح عتت على عاد فما قدروا على ردها حيث كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم. فعاتية: أي بالغة منتهاها في القوة والشدة[1] وهذه الرياح العاتية ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[2]".

أي أن الله تعالى سلط عليهم الريح سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوما، أي متتابعة متوالية، فيكون القوم صرعى، أي موتى، يريد أنهم صرعوا بموتهم فهم مصرعون صرع الموت، فكأنهم أعجاز نخل خاوية، أي خاليه من الجوف لا شيء فيها، أي أن الريح كانت تدخل أجوافهم فتصرعهم كالنخل الخاوية الجوف، وتميل أن تكون الخالية بمعنى البالية لأنها إذا بليت خلت أجوافها[3].

وقوله تعالى أيضاً: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ۝ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[4]" فالريح الصرصر العاتية هي عقاب قوم عاد التي جعلت أجسامهم خاليه جوفاء، فهم هلكوا بسبب طغيانهم وجحودهم.

سابعاً: الوعيد بالنار هو مصير امرأة نوح وامرأة لوط يوم القيامة

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[5].

---

[1] الرازي، التفسير الكبير، (١٠/ ٦٢١).

[2] سورة الحاقة، الأية (٧).

[3] الرازي، التفسير الكبير، (١٠/٦٢٢).

[4] سورة القمر، الأية (١٨-٢٠).

[5] سورة التحريم، آية (١٠).

قيل إن امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا في عصمة عبدين صالحين، "نوح ولـــوط عليهما السلام" قد خانتاهما: أي بالكفر لأنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نـــوح تقول للناس: إنه مجنون، وإذا آمن به أحد أخبرت به الجبابرة.

بما أنها لم تؤمن وبان الله تبارك وتعالى أمر نوح أن لا يدخل السفينة إلا مـن آم فإنها حتماً تكون من الغارقين.

وأما امرأة لوط فكانت تدل على أضيافه، فإذا نزل به ضيف بالليل وآمـــن بـــه أوقدت النار، وإذا نزل بالنهار دخّنت ليعلم قومه أنه نزل به ضيف، قال تعـــالى: ﴿عن منجوك وأهلك إن امرأتك كانت من الغابرين﴾ [1] فاختارت امرأة لوط الكفر ولم تتأثر بإيمـان ونبوة زوجه وآثرت أن تكون مع الكافرين مع أن سيدنا لوط دعا أمراته عـــدة مـــرات لأحسن الوسائل والأساليب لكنها أغلقت قلبها واصمت آذنها ورفضت الدعوة الإيمانيـــة فكانت من الغابرين الهالكين مع الكفرة وفي الآخرة لم يشـــفع لـــها زوجـــها[2]. فكـــان جزاؤهما أن ﴿ادخلا النار مع الداخلين﴾ بهذه الآية قطع الله كل من يرتكب المعصيـــة أن ينفعه صلاح غيره، ثم أخبر أن معصية غيره لا تضره إذا كان مطيعاً[3].

فالوعد والوعيد بالنار هو مصير امرأة لوط وامرأة نوح، وستحشران يوم القيامة مع الكفرة الجبابرة في نار جهنم ويصلون في لهيبها المتوهج.

ثامناً: الغرق في اليم (البحر)

فرعون من ألد أعداء الله وأكثرهم عناداً وأشدهم تجـــبراً وطغيانـــاً، وإذا كـــان المتجبرون يعادون الله معترفين بأنهم بشر فإن فرعون تجاوز الحد وادعى أنه إله. ولـــم

---

[1] سورة العنكبوت، الآية (٣٣).

[2] الخالدي: في القصص القرآني، ٥١٢/١.

[3] البغوي: أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء، تفسير البغوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٦م، ٣٣٨/٤.

يقف التجاوز عند هذا الحد بل إلى ادعائه أنه منفرد بالألوهية. (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري)، ثم اخبر تعالى عن الابتلاء والاختبار الذي نزل لفرعون وأتباعه فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] . ثم بيّن تعالى أنهم مع تلك المحن والشدائد لم يزدادوا إلا تمرداً وكفراً وقال في آخر الآيات (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي لا يعلمون أن ما لحقهم من القحط والشدة من عند الله بسبب معاصيه لا من عند موسى فعند ذلك قال قوم فرعون لموسى كما قال تعالى:- ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ۝ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ۝ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾[2]".

هذا هو الجموح الذي لا يرده برهان، لا يريد أن ينظر ولا أن يتدبر لأنه يعلن الإصرار على التكذيب قبل أن يواجه البرهان وهي حالة نفسية تصيب المتجبرين حين يدمغهم الحق، ويطاردهم الدليل، فتتدخل القوة الكبرى سافرةً بوسائلها الجبّاره للإنذار والابتلاء وبعث آيات مفصلات واضحة الدلالة، ومنسقة الخطوات تتبع الواحدة منها الأخرى وتصدق اللاحقة منها السابقة (الطوفان) الجراد... وفي كل مرة يطلبون إلى موسى تحت ضغط البلية أن يدعوا لهم ربه لينقذهم منها، ويعدونه أن يرسلوا معه بني إسرائيل إذا أنجاهم منها، وإذا رفع عنهم الرجز، أي العذاب، وفي كل مرة ينقضون

---

[1] سورة الأعراف، الآية (١٣٠-١٣١).

[2] سورة الأعراف، الآية (١٣٢ - ١٣٦).

عهدهم ويعودون إلى ما كانوا فيه قبل رفع العذاب عنهم، وقدر الله تعالى في تأجيلهم إلى أجلهم المقدور لهم، ثم تجيء الخاتمة وتقع الواقعة، ويدمر الله فرعون وملأه ويحقق وعده للمستضعفين الصابرين بعد إهلاك الطغاة المتجبرين، وإذا فرعون الطاغية المتجبر وقومه مغرقون وإذا كل ما كانوا يصنعونه وما كانوا يقيمون من عمائر فخمة قائمة على عمد وأركان.. وإذا هذا كله حطام في ومضة عين[1].

وأما بالنسبة لأنواع العذاب التي حلت بفرعون وقومه فهي بمنزلة إنذار منها:-

١) القحط والجرب:- وهو الذي عبر عنه القرآن بـ (السنين) وهي من أعوام الجرب التي أصابتهم حيث لا يستغل فيها زرع ولا ينتفع بضرع.

٢) النقص في الثمرات:- وهي قلة الثمار من الأشجار.

٣) الطوفان:- وهو كثرة الأمطار المتلفة للزروع والثمار.

٤) الجراد:- أرسله الله على آل فرعون فكان يغطي الخضراء ويحجب ضياء الشمس لكثرته وكان لا يترك لهم زرعاً ولا ثماراً يأكل الأخضر واليابس.

٥) القمّل:- وهو السوس الذي يفسد الحبوب وقيل هو القمل المعروف وقيل هو البعوض الذي لم يمكنهم من الغمض ولا العيش.

٦) الضفادع:- وهي معروفة وكثرتها نغصت عليهم عيشهم حيث كانت تسقط بأطعمتهم وأوانيهم وتقفز على فراشهم وملابسهم.

٧) الدم:- فقد استحال الماء لهم دماً فلا يستقون من بئر ولا نهر إلا انقلب دماً في الحال[2]. ففي الوقت الذي فيه هذه آيات لموسى عليه السلام هو أيضاً عذاب لقوم فرعون.

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، (٣ / ١٣٥٨).

[2] الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، مكتبة الغزالي، دمشق، ط٣، ١٩٨٥، ص ١٩٠.

-حتى كانت الآية الكبرى، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ۞ فَحَشَرَ فَنَادَى ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۞ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [1]". يعني أنه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مصرحاً لهم بذلك فأجابوه مطيعين ولهذا انتقم الله تعالى منه فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار[2].

تاسعاً: مصير قارون وخسفه ماله وداره في الأرض.

القرآن الكريم يعرض نموذجاً، آخر من نماذج عقاب الله في الدنيا وكان هذا متمثلاً في قارون وما أحاط به، وقد كان قارون ممن حاولوا اعتراض طريق الله ورسوله، واعتراض سنة الله في الكون[3].

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۞ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ۞ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا

---

[1] سورة النازعات، (٢٣ – ٢٦).

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٤٣١).

[3] حفني، عبد الحليم، أسلوب الوعيد في القرآن الكريم، ص (١٠٠).

إِلَّا الصَّابِرُونَ ۝ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [1]".

﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ أي ابتلعته وابتلعت داره، وهوى في بطن الأرض التي علا فيها واستطال فوقها جزاءاً وفاقاً، وذهب ضعيفاً عاجزاً لا ينصره أحد. ولا ينتصر بجاه أو مال.

وهوت معه الفئة الطاغية التي جرفت بعض الناس، ولكن ردتهم الضربة القاضية إلى الله، وكشفت عن قلوبهم قناع الغفلة والضلال[2]، كما ويستشف من قصة قارون ما يلي:

١- أن كل جزاء يفزي الله به أحداً في الدنيا ويقصه القرآن لا بد أن يكون من جوانب الحكمة فيه أن يكون عبرة ووعيداً لكل من تسوّل له نفسه أن يصنع مثل الصنيع الذي كان سبباً في هذا العقاب، قال تعالى: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾.

٢- إن الذين يغترون بمالهم وما يترتب على هذا المال من جاه ونفوذ حتى يصل بهم أن تخلوا عن الإيمان بالله، ومعنى ذلك أنهم رأوا أن المال يغني عن الإيمان وهذه دعوى تربوية إلى أن المال فتنه وابتلاء فمن ينساقوا وراء هذه الفتنة يخسر الدنيا والآخرة ويصيبهم كما أصاب قارون ولذا كان التعقيب من الله تعالى بقوله: ﴿أولم يعلم بأن الله قد أهلك من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً﴾.

٣- كما أن الآيات تشير بأن الله كان يمكن أن يهلك دار قارون وما فيها بوسيلة تخفيها عن الوجود كالحريق مثلاً ولكن حكمة الله اقتضت أن تبقى دار قارون وما فيها رغم دمارها ولكن تحت الأرض، وكأن الله يقول له عند خسفها لقد كنت تقول إنك

---

[1] سورة القصص، الآية (٧٦ – ٨١).

[2] قطب، في ظلال القرآن، (٢٧١٣/٥).

جمعت كل ما في هذه الدار بعلم عندك، فهل يستطيع علمك اليوم أن ينقذ دارك وما فيها؟ فلا هو، ولا أحد من أنصاره يستطيع أن يدفع شيئاً من عقاب الله. قال تعالى: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾ [1].

٤- وتشير كذلك أن الذين فتنوا بقارون وماله وزينته رغم انسلاخ قارون عن دينه ورغم ادعائه أن كل ما أوتيه حصل عليه بعلمه، هؤلاء رجعوا إلى الصواب حين حل بقارون وبداره الدمار، فامتلأت نفوسهم يقيناً بالإيمان بالله[2]. قال تعالى: ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ [3].

عاشراً: التمثيل بالكلب

يضرب الله مثلاً للانحراف عن الفطرة السوية، ونقض العهد المأخوذ عليها والرجوع عن آيات الله بعد رؤيتها والعلم بها ذلك الإنسان الذي آتاه الله آياته فقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

"إنه مشهد عجيب لإنسان يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه من فضله ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع، ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخاً، ينسلخ كأنما الآيات أديم له متلبس بلحمه فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة، ها هو ذا ينسلخ من آيات الله ويتجرد من الغطاء الواقي والدرع الحامي،

---

[1] سورة القصص، الآية (٨١).

[2] حفني، عبد الحليم، أسلوب الوعيد في القرآن الكريم، ص ١٢٠.

[3] سورة القصص، الآية (٨٢).

[4] سورة الأعراف، (١٧٥ - ١٧٦).

وينحرف عن الهدى ليتبع الهوى، ويهبط من الأفق المشرق فيلتصق بـــالطين المعتـم، فيصبح غرضاً للشيطان لا يقيه منه واق ولا يحميه منه حام، فيتبعه ويلزمه ويســـتحوذ عليه ثم إذا هو مسخ في هيئة الكلب يلهث إن طورد ويلهث إن لم يطارد، فها هو يـهبط من مكان الإنسان إلى مكان الحيوان، فكان كالكلب الذي يتمرغ في الطين، وها هو يهبط من أعلى عليين وكان في أحسن تقويم إلى أسفل السافلين، وهذه الآية تضرب مثلاً لكـل من آتاه الله من علم الله فلم ينتفع بهذا العلم، ولم يستقم على طريق الإيمان، وانسلخ مـن أنعم الله ليصبح تابعاً ذليلاً للشيطان، ولينتهي في مرتبة الحيوان[1].

وكثير من العلماء من يغتر بالمال فينسلخ عن العلم فهو انسلخ منها كما تنســـلخ الحية من جلدها، حتى لم يعد من شيء في عقله وقلبه والله تعالى عاقبه بـــأن مثلـــه إذ تطارده أو تتركه يلهث فهذا لأنه اتبع الشيطان واصبح من الغاوين المفسدين عوقب بأن يلهث كالكلب سواء ضربته أو هددته أو تركته آمناً وادعاً كان يلهث[2].

ومن المضامين التربوية من قصة الذي انسلخ من آيات الله ما يلي:

- أن في الحياة طريقين: طريق الهدى، وطريق الضلال، طرق الله وطريق الشيطان، فمن لم يكن سائر في الطريق الأولى فهو لا شك سائر في الطريق الأخرى.
- إن الالتزام بطريق الهدى والتحقق بمفاهيم الإيمان والاعتصام بحبـــل الله ووحـــده صمام الأمان الذي يعصم بإذن الله من الشيطان. ومن تخلى عن تلك الطريـــق ســـيقع فريسة الشيطان وعندها يكون مثل الكلب.
- أن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم ففضله على باقي المخلوقات وإنه يريـــد العزة والارتفاع والتكريم لذلك أرشده إلى الوسيلة الموصلة لذلك فأنزل آياتـــه وأرســـل

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، ٣/ ١٣٩٦.

[2] الزين: سميح عاطف، الأمثال والمثل والتمثل والمثلات في القرآن الكريم، الشركة العالمية للكتـــاب، ط١، ١٩٨٧، ص ٣٨٠.

رسله وحدد أحكامه فكل من قبل أحكام الله ورضيها نال العزة والكرامة ونقيض هـــذه الطريقة يكون الضياع والخسران[1].

الحادي عشر: العذاب بالطير الأبابيل

أصحاب الفيل قوم قصدوا هدم الكعبة المشرفة (وهم أبرهة الأشرم وجيشة مـــن الأحباش) فرد الله كيدهم في نحورهم، وحمى بيته من بغيهم وأرسل عليهم جنـــداً مـــن جنده وهم طيراً أبابيل أمثال الخطاطيف وهي من أضعف خلقة فقال تعـالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۞ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۞ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۞ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۞ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[2].تقذفهم بالحجارة الصغيرة من الطين المتحجر، كأنها رصاصات خارقة لا تصل إلى أحد إلا قتلته. إنـــها طيـــور أرسلها الله لعقاب أبرهة الأشرم وجيشه ومع كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره وحجرين في رجليه فرمته الطيور بالحجارة فكان الحجر يدخل في رأس الرجل ويخرج من دبره فيرميه جثه هامدة حتى أهلك الله ودمرهم وجعلهم كورق الشجر الذي عصف به الريـح وأكلته الدواء ثم راثته فهم يتساقطون في كل طريق، وأما ابرهه فأصيب فـــي جســده وخرجوا به معهم يسقط أنمله أنمله، وكل ما سقطت أنمله أتبعها القيح والدم حتى قدمـوا به صنعاء وهو كالفرخ الطائر فما مات حتى أنصدع صدره عن قلبه[3].

نعم لقد جعلهم الله كعصف مأكول"- أي كالنفايات المطروحة من بقايا الطعـــام التي لا ينتفع بها كقشر الفاكهة الذي يطرح بعد أكلها أو نحو ذلك.. هكذا كانت جثثـــهم المتناثرة على الأرض بعد هلاكهم[4].

---

[1] الخالدي: مع قصص السابقين، ١٣٧/٣.

[2] سورة الفيل.

[3] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٨٧/٢٠-٢٠٠.

[4] حفني، عبد الحليم، أسلوب الوعيد في القرآن الكريم، ص (٧٨).

ومن الدلالات التربوية لهذه المعجزة:

- أن الله بعثها إظهاراً لقدرته الربانية وعظمته الإلهية لأنها القدر على كل شيء.

- وبعثها بياناً لعجز البشر مهما بلغت قدرتهم وارتفعت رايتهم، وبيان جهلهم بعظمة الله وقدرته.

- وجعلها عبرة للمعتبرين من بعدهم ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾.

الثاني عشر:- القتل عذاب الدنيا وشجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم مصير أبي جهل ومن شاكله.

أبو جهل فرعون هذه الأمة اشد وأغلظ من فراعنة سائر الأمم وفرعون موسى حين أدركهم الغرق قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وفرعون هذه الأمور أزداد عداوة وكفراً.

أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأبي جهل أن يلتمس في القتل وكان أول من لقي أبا جهل معاذ بن عمرو، ووجد أبو جهل وسط غابة من الرماح أقامها رجاله حوله فقام معاذ وضربه ضربةً أطنت قدمه فضرب عكرمه معاذ على عاتقه فطرح يده فأجهضه القتال عن أبي جهل ثم مرّ بأبي جهل معوذ بن عفراء، فضربه حتى تركه وبه رمق. وقاتل معوذ حتى قتل ثم مرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل فوجده بآخر رمق فوضع رجله على عنقه فقال أبو جهل له يا رعي الغنم فقال ابن السعود، لأذبحنك ذبح الشاه، وجاء به إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وألقى رأسه بين يدي الرسول -صلى الله عليه وسلم- فسجد شكراً لله وقال: الله اكبر الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، إن لكل أمةٍ فرعون، وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل[1].

تلك الشجرة الخبيثة التي تنبت في أصل الجحيم طعام كل فاجر ليس له طعام غيرها، وهي لشناعتها إذا أكلها الإنسان تكون في بطنه كالنحاس المذاب المتناهي الحرارة فهو يجرجر في البطن (كغلي الحميم) أي الماء الشديد الحرارة والمراد بالأثيم الفاجر ذو الإثم وهو أبو جهل الذي قال عندما نزلت الآية يا معشر قريش هل تدرون ما

---

[1] أبو خليل: شوقي، بدر الكبرى، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط١، ١٩٨٢، ص ١١٠.

شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا قال عجوة يثرب بالزُبد. والله لئن استمكنا منها لنتزقمنّها تزقما[1] فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ۞ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۞ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۞ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۞ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾[2]. أي يقول لزبانية جهنم خذوا هذا الفاجر اللئيم فسوقوه وجروه من تلابيبه بعنف وشدة إلى وسط جهنم ثم صبوا عليه فوق رأسه الحميم المتناهي الحرارة[3].

الثالث عشر: المرض لأبي لهب والخنق بالحبل لمرأته والنار اللاهبة مصيرهما وعقابهما يوم القيامة

عن ابا لهب وغمراته متاع الكفر، قال الهمداني: كانت أم جميل بتأتي كل يوم بحزم حشيش وحطب وتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي حاملة ذات يوم حزمة أعييت، فقعدت على حجر لتستريح، فجذبها الملك من خلفها فأهلكها وهو في الآخرة حبل من نار.

قال الجوهري: الحكم ببقاء أبي لهب وأمرأته في النار مشروط ببقائهما على الكفر إلى الموافاة، فأمراته خنقها الله بحبلها وأبو لهب رماه الله (بالعدسة)[*] بعد وقعة بدر فمات وبقي ثلاثة أيام لم يدفن حتى أُنتن ثم جاء ولده وغسله بالماء قذفاً من بعيد مخافة عدو العدسة وكانت قريش تتقيها كما تتقي الطاعون ثم أحتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدارٍ ثم أرضموا عليه الحجارة وجعلوا بعضها على بعض[4].

---

[1] التزقم/ الإبتلاع، أي لنبتلعنها ابتلاعاً.

[2] سورة الدخان، الآية (٤٣- ٤٨).

[3] الصابوني: صفوة التفاسير، ١٧٧/٣.

[*] العدسة: هي بثرة قاتله تخرج الطاعون وقلما يسلم منها. وقال أبي رافع عن أبي لهب رماه الله بالعدسة تخرج في مواضع من الجسد وهي من جنس الطاعون تقتل صاحبها غالباً. (ابن منظور)، ١٣٢/٦.

[4] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢٣٨/٢٠.

قال تعالى: ﴿سيصلى نارا ذات لهب﴾.

ذات لهب: أي ذات شرر ولهب وإحراق شديد" وامرأته تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه، وهي مهيأة لذلك ومستعدة.

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ" أي في عنقها حبل من نار جهنم أو حديد تدفع به إلى شفيرها ثم ترمي إلى أسفلها ثم كذلك دائماً:

فهذه الآية إخبار عنهم بالشقاء وعدم الإيمان وهذا العذاب لن يغني عنه ماله وولده منه شيئاً[1].

وفي نهاية هذا المبحث نستطيع تلخيص بعض أنواع العذاب في قوله تعالى:- ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [2]".

مما سبق يتبين لنا أن عذاب الله لا يقع إلا بسبب الظلم والتجبر، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [3]" فهذه الآية قاعدة عظيمة في بيان ضوابط سنة العقاب، ونستشف مما مضى ما يلي:

- أن العقاب لا يقع إلا بعد قيام حجة الله على خلقة بإرسال الرسل.
- أن الله يمهل المعاقبين ويقلب لهم البراهين عسى أن يتوبوا.
- أن العقاب لا يقع إلا بسبب الذنوب وظلم العباد للعباد.
- إذا جاء أمر الله بالعقاب واستئصال الأمة فلن ينفعها إيمانها إن آمنت[4].

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية (١/ ٤٠٠).

[2] سورة العنكبوت، الآية (٤٠).

[3] سورة هود، الآية (١١٧).

[4] الشريف: عبد السلام بن نصر الله، سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم، دار المعراج الدولي للنشر، الرياض - السعودية، ط١، ١٩٩٤، ص ٣٦-٣٩.

- إن العذاب من جنس العمل، وأن العذاب لا ينزل إلا بعد مفارقة النبي لقومه، قال تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ فقد أمر الله تعالى كلاً من نوح ولوط وموسى بمغادرتهم أقوامهم بأن العذاب سيحيق بهم.

الفصل الثالث

- دلالات التربوية لقصص الجبابرة في القرآن الكريم

الفصل الثالث

اشتملت قصص الجبابرة على كثير من الدروس النافعة التي لها الكثير من الآثار الإيمانية والتربوية، وهذه الآثار تنعكس على الفرد والأسرة والمجتمع لتهدي القلوب وتحمل العقول على حسن التدبر والتفكير، كما أن في تكرار القصص في القرآن ما يدل على أسمى البلاغة والتأثير تربوياً، لذلك ينبغي للمسلم أن يأخذ هذه القصص ويتدبرها آخذاً منها العبر والعظات ليتربى عليها، ويلتزم بها ليتمكن من الرد على جبابرة زمانه، ولأنها تعود عليه بالنفع والخير.

وفي هذا الفصل ستستعرض الباحثة قصص الجبابرة والأنبياء الذين بعثهم الله لهم، والآثار التربوية لهذه القصص التي تعود بالنفع والخير على الفرد والأسرة والمجتمع.

الدلالات التربوية لقصة إبليس مع سيدنا آدم -عليه السلام-:-

- هذه القصة تُربي الفرد والمجتمع على احترام الإنسانية لأن الله تعالى كرّم الإنسان ورفع مكانته وأعلى من قدره. قال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا﴾ [1]
- التربية على تأدية الواجب على أكمل وجه وهذا الواجب هو الاستخلاف في الأرض.
- أن نظرة القرآن للإنسان لتربي وتولد فيه كل طموح وسمو وتجعله يشعر بمعاني العز والكرامة.
- والتربية على الابتعاد عن الكبر والنفور منه بعد أن بيّن الله عاقبته المترتبة عليه، فإبليس عندما تكبر ولم يذعن لأمر الله ابتلاه الله بالذلة وطرده من الجنة مهانا. لهذا

---

[1] سورة الإسراء، الآية (٧٠).

كانت عاقبة الكبر في القرآن وخيمة، ذلك لأن المتكبر يكرهه الله، والكبر يوجب العقاب الشديد والإخراج من زمرة المؤمنين إلى الملعونين[1].

- وفي قصة آدم تربية للإنسان إلى السمو الروحي والتغلب على عوامل الشر في نفسه. فقال تعالى: ﴿وتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ [2]
- وفيها إخبار من الله عن عداوة إبليس لآدم -عليه السلام- وبيّن لنا كيف أغراه بالأكل من الشجرة وأوقعه في مخالفة أمر ربه. وهذا درس تربوي للفرد والمجتمع في اتقاء الشر ومواجهة الشيطان وعدم الانصياع لأوامره. ذلك لأن إبليس ومن معه من الشياطين هم أعداء الإنسان الذين يدأبون على تقوية دواعي الشر والباطل في النفس الإنسانية، وهم دعاة الشر والفساد في الأرض، وهذا كله مدعاة إلى التربية الإيمانية الروحانية التي تقف حائلاً دون وساوس الشيطان.
- كما تربي الإنسان على "أن المتقلب في نعم الله، يجب أن يحافظ عليها بشكر الله ولا يعمل عملاً فيه مخالفة لأوامر الله، لأن مخالفة أوامره كثيراً ما تؤدي إلى زوال النعمة فآدم عليه السلام أسكنه الله في جنته، وأباح له أن يأكل من خيراتها، ونهاه عن الأكل من شجرة معينة، فلما نسي آدم أمر الله وأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها واستجاب لوسوسة الشيطان فكانت النتيجة، أن أخرج من الجنة، وهذا يرشد إلى أن المحافظة على طاعة الله تؤدي إلى دوام النعمة ونسيان الطاعة تؤدي إلى زوالها"[3].
- ومن الدلالات التربوية لهذه القصة أن قوة الإيمان تتغلب على كيد الشيطان، وأن عباد الرحمن لا يستطيع إبليس إغواءهم، ولقد اعترف إبليس بذلك، قَالَ تعالى:

---

[1] طبّاره: مع الأنبياء، (ص ٤٣).

[2] سورة البقرة، الآية (٣٧).

[3] طنطاوي:- محمد سيد، القصة في القرآن الكريم، دار المعارف، ط١، ١٩٩٥، ص ٤٢.

﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۞ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۞ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [1] ومن الدروس الحكيمة.

- التربوية التي تؤخذ من هذه القصة: سعة رحمة الله وعظيم فعله وقبوله لتوبة التائبين، فآدم بعد أن تاب إلى ربه مما وقع فيه من الأكل من الشجرة، قبل الله توبته[2].
- أن أحداث المعركة بين الإنسان والشيطان تذكر بالمعركة بين الإيمان والكفر وبين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وهي معركة دائمة لا تتغير أحداثها، والإنسان نفسه هو ميدان المعركة وهو الذي يكسب أو يخسر وهذا تربية وتحفيز إلى اليقظة.
- أنها تُربي الإنسان على مبدأ فردية المسؤولية فالخطيئة فردية والتوبة فردية. فلا أحد يتحمل وزر غيره ولا أحد يتولى التوبة عن آخر. قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [3].
- تربية الإنسان على الابتعاد عن العنصرية أو الاعتزاز بالعنصر، فإنه يؤدي إلى الهلاك السحيق وهي نزعه ابليسية (خلقني من نار وخلقته من طين).
- ومن الجوانب التربوية أن العلم بالله لا ينفع بلا عمل فإبليس كان من أعلم خلق الله ولكنه لم يعمل بمقتضى علمه لذلك كان مصيره أسوأ مصير.

---

[1] سورة الحجر، الآية (٣٩-٤٢).

[2] طنطاوي: القصة في القرآن الكريم، ص ٤٤.

[3] سورة فاطر، الآية (١٨).

- وفيها تربية الإنسان على الحياء ذلك أن ستر العورة فطره أصيلة في الإنسان. وجاءت تعليمات الشرع لتؤكدها وتثبتها ومعنى هذا أن العرى والتبرج شذوذ عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [1]. مع أنه لم يكن هناك سوى رجل وزوجه ولكن الله أحق أن يستحيا منه[2]. ولذا فن الشيطان يسعى لإفساد وطمس هذه الفطرة ولذا جاء التحذير من الله بقوله: (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا)[3]
- أن الله تعالى قد يحجب سر حكمته عن أقرب خلقة كما حجب حكمه استخلاف آدم في الأرض عن الملائكة.
- وأنها تُربي الإنسان على أن عناية الله تعالى إذا وجهت إلى الشيء الحقير صار عظيماً، كما توجهت عنايته تعالى إلى التراب الذي جُبل منه آدم عليه السلام فصار بشراً سوياً وأفاض عليه من العلم والمعرفة ما أقر الملائكة بالعجز عن إدراكه.
- وفيها أثر تربوي يدعو الإنسان إلى الاعتراف (بضعفه)، فالإنسان مهما أوتي من الكرامة ففي طبعه الضعف وهو عُرضة لأن ينسى كما في نسيان آدم وصية الله تعالى.
- وتربية للإنسان بأن باب التوبة مفتوح فلا ييأس من رحمة الله تعالى من عصا وخالف أمره فقد تاب الله على آدم -عليه السلام-، وهذا تربية للإنسان بأن يلجأ إلى الله بالندم والاستغفار إذا اقترف معصية، ويقلع عنها[4].

---

[1] سورة طه، الآية (١٢١).

[2] نداء: محمد محمود، من القصص الحق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د. ط ١٩٩٤، ص ٢٣٠.

[3] سورة الأعراف، الآيه (٢٧).

[4] النجار: عبد الوهاب، قصص الأنبياء، دار الهجرة، الأردن، اربد، د. ط، ١٩٩٥، ص ٣٦.

- أن مَنْ مَنَّ الله عليه بالعلم أن يعترف بنعمة الله عليه وأن يقول كما قالت الملائكة والرسل ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾[1] وألاّ يتكلم إلا بما يعلم، وشكر هذه النعمة بالاعتراف لله بها والثناء عليه بتعلمها وتعليم الجاهلين والوقوف على ما علمه العبد والسكوت عما لم يعلمه.
- تغرس في الإنسان أن الكبر والحسد من أخطر الأخلاق، فكبر إبليس وحسده لآدم صيّره إلى ما آل إليه. وفي القصة دلالة لمذهب أهل السنة لمثبتي لله ما أثبته لنفسه[2] من الأسماء الحسنى والصفات كلها.
- أن قصة خلق آدم -عليه السلام- تدل على بطلان نظرية التطور، فوجود الإنسان - لم يكن صدفة عمياء ولا نتيجة التطور البطيء أو المفاجئ وإنما كان وجوده نتيجة تصميم ومشيئة وإرادة الله عز وجل[3].
- ثم أن خلق الله تعالى للإنسان على النحو المبين في القرآن يضفي عليه قيمه وكرامة كبيره، ويجعل له شأناً ومنزلة رفيعة، فقد خلقه الله تعالى في أحسن شكل وفي أجمل صورة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [4].
- وتربي النفس الإنسانية على أن الله تعالى في عظمته وجلالته يرضى لعبيده أن يسألوه عن حكمته في صنعه وما يخفى عليهم من أسراره في خلقه، خاصة أسئلة البحث العلمي والاستدلال العقلي، ثم إن من أسرار الله وحكمه ما يخفي على

---

[1] سورة البقرة، الآية (٣٢).

[2] النجار: عبد الوهاب، قصص الأنبياء، دار الهجرة، الأردن، اربد، د. ط، ١٩٩٥، ص ٣٦.

[3] السعدوي: عبد الرحمن بن ناصر، قصص الأنبياء، تعليق: أبو محمد: أشرف عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، ط١، ١٩٩٥.

[4] سورة التين، الآية (٤).

الملائكة فنحن بشر أولى بأن يخفى علينا، فلا مطمع للإنسان في معرفة جميع أسرار الخليقة وحكمها؛ لأنه لم يؤت من العلم إلا قليلا"[1].

- وفي قوله تعالى لآدم وزوجه (اهبطوا) يدل على أن المعصية تكون سبباً في الحرمان من أسباب السعادة.

ومن الدلالات التربوية لموقف قوم نوح الجبارين مع نبيهم:

إن نوحاً -عليه السلام- أول رسول أرسله الله بالرسالة الإلهية إلى قومه عندما تحولوا إلى عبادة الأصنام وأمعنوا في الضلالة والكفر، وقد لبث نوح -عليه السلام- زمناً طويلاً يدعوهم إلى عبادة الله ألف سنة إلا خمسين عاما، ولكن هذه المدة لم تؤتِ ثمارها فيهم ولم يؤمن إلا القليل منهم فقوم نوح لم يستجيبوا لدعوته وأنكروا أن يكون نبياً ربما لأسباب قد يكون أن الذين اتبعوه من المستضعفين وقد يكون السبب أن نوحاً إنسان مثلهم يأكل ويشرب فكيف يكون نبياً، ومع استعلاء القوم وكفرهم وصدهم لدعوة نوح عليه السلام إلا أنه استمر في دعوته محاولاً إقناعهم لكن قومه استمروا في العناد واستعجلوا العذاب، فما كان موقف سيدنا نوح منهم بعد أن ضاق ذرعاً بقومه إلا اللجوء إلى ربه مستغيثاً به داعياً ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[2]".

فاستجاب الله لدعاء نوح وقبل أن يبعث الهلاك بالقوم هيئ للمؤمنين بالرسالة أسباب النجاة وأمر نوح عليه السلام أن يصنع سفينه وأن يحمل معه في السفينة من الأحياء والحيوانات زوجين وجميع أهله واقاربه باستثناء زوجته وابنه، وشرع نوح في تنفيذ أمر ربه، وتذكر نوح في بدء الطوفان ابنه، ولكن ابنه لم يستجب لدعوى أبيه ولا

---

[1] فريد: تيسير المنان في قصص القرآن، ٢/٢٥.

[2] سورة نوح، الآية (٢٦-٢٧).

لنداءه وغرق مع الكفار في الطوفان وصار مع الهالكين وهذه مجمل قصة سيدنا نـــوح -عليه السلام- وهذه الأحداث كلها لها أشد الآثار التربوية ووقعاً في النفس الإنسانية.

- تربي الإنسان على آداب الدعوة وتمامها، فنوح دعا قومة ليلاً ونهاراً جهراً وسراً ورغب قومه بالثواب وحذرهم الهلاك في العقاب وخاطبهم برفق وشفقه فـــهذا يربـــي الإنسان على الإقتداء بالأنبياء جميعا لأنهم متفقين على الدعوة إلى التوحيـــد الخـــالص والنهي عن الشرك.
- وتربية الإنسان على إزالة الفروق الطبقية بين العمال خاصة، وأن المجتمع ينقسم إلى قسمين: الأول: طبقة الإشراف والأغنياء، والثاني: طبقة العمال والفقراء وهذا تربوياً مدعاة إلى تحطيم التفاوت الاجتماعي والمساواة بين الناس، قال تعـــالى: (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون).
- أن الرابطة التي يتجمع الناس عليها ليست الدم ولا النسب ولا الأرض والوطـــن ولا العشيرة ولا اللغة إنها رابطة الإيمان فإبن سيدنا نوح عليه السلام غرق مع الغارقين ودعا ربه قائلاً: "رب إن ابني من أهلي" فقال تعالى: "يا نوح إنه ليس من أهلك".
- الصبر في أداء الدعوة، فالصبر يربى الإنسان وجدانياً وإيمانياً وســـلوكياً. قـــال تعالى: (فأصبر إن العاقبة للمتقين) فسيدنا نوح عليه السلام دعا قومه ألف ســـنة إلا خمســـين عاماً ولم يؤمن إلا القليل فصبر حتى بلّغ الدعوة وصبر في مواجهة الكفـــار الجبـــابرة الظالمين فصبر سيدنا نوح عليه السلام يعكس معنى تربوياً قوياً في النفـــس الإنســـانية وينتج عنه سلوكاً تربوياً في التعامل، والذي ينشده القرآن من وراء قصة نـــوح -عليـــه السلام- توجيهاً تربوياً جميلاً للإنسان بأن الأعمال الصالحة هي المعول عليها في نيـــل السعادة في الآخرة، وليس للشفاعات والقرابات أي تأثير في النجاة من عذاب الله.

- من الفضائل التربوية للإنسان أنه إذا عمل فضيلة أو عمل صالحاً للآخرين لا ينتظر أجره منهم فأجره على الله، والله تعالى يجعل له من فضله رفعه في الدنيا والآخرة. قال تعالى: (وما أسألكم عليه من أجر إن اجري إلا على الله).

- فضلاً عن تربية الإنسان دائماً أن يكون في دعاء عند الركوب وعند النزول وعند السفر... ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾[1] وكما أن في الدعاء شعور بالقوة والثقة بالله.

- أن النجاة من العقوبات الدنيوية تكون للمؤمنين لأنهم أتبعوا الرسل والعقوبات تكون للمجرمين الكفرة.

- ومن الأساليب التربوية الحكيمة التي استخدمها نوح عليه السلام مما أنعكس على النفس الإنسانية أن نوحاً استخدم أسلوب النقاش والحوار بطريقة مهذبة وهذا مدعاة إلى التربية على هذه الأساليب لأنها من الأساليب اللائقة بالداعية ثم أن بهذا الأسلوب التربوي الجميل يفتح الله عليه الحجج والبراهين والأدلة للرد على الخصم. أيضاً استخدم نوح أسلوب النصح والوعظ وأسلوب الترغيب والترهيب وأسلوب ضرب الأمثال والقصة... وهي أساليب متنوعة وهذا يدعوا الإنسان للتربية على إستخدام كل أسلوب عند الحاجة إليه.

- أن الله تعالى يعوّض عباده الصالحين ما فقدوه من أهلهم وذويهم، بما يمنحه لهم وينعم عليهم. فنوح فقد ابنه وكذلك في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- الذي فقد والده ولكن الله تعالى عوضهم بمحبته لهما. فضلاً عن التعويض المادي فقال عن نوح -عليه السلام-: (وجعلنا ذريته هم الباقين) وقال عن إبراهيم -عليه السلام- (ووهبنا إليه إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً) وقال تعالى عن الاثنين معاً: (وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب).

---

[1] سورة المؤمنون، الآية (٢٩).

- الحرص من وسائل الجبابرة. فهم يستخدمون عامل الزمن لتموت الدعوة عند القوم وتفقد حيويتها وما على الداعية إلا أن يستمر في الدعوة والعمل على بقاءها حية، وما فعله نوح عليه السلام كان تربية للداعية فقد ظل يدعوا ألف سنة إلا خمسين عاماً دون كلل أو ملل وكانت النتيجة القليل من المؤمنين، وكذلك التربية على استخدام عامل الانتظار والمستقبل ليرى المدعو ومصداق كلام النبي أو الرسول، قال تعالى: (إن كان ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) ولذا جاء الأمر الإلهي (اصبروا وصابروا) فإذا كان العدو سيصبر على آلهته فأولى بذلك أهل التوحيد.
- ومن الدروس الحكيمة التربوية التي تعكسها هذه القصة أن الإنسان العاقل الحكيم هو الذي يتلقى شبهات خصمه بصدر رحب، وعقل سليم ثم يرد عليها بما يدحضها ويهدمها، فقوم نوح اتهموه **(إنا لنراك في ضلال مبين)** فتلقى نوح عليه السلام تهمهم بثبات وصبر ثم رد عليها **(قال يا قوم ليس بي ضلالة)**.

ومن الدلالات التربوية لقصة سيدنا صالح مع جبابرة قومه

إن الله تعالى أرسل نبيه صالحاً إلى قومه ثمود ليدعوهم لعبادة الله وترك عبادة الأصنام، لكن قوم ثمود كذبوه وأبو أن يستجيبوا إلى عبادة الله وتوحيده وتقواه بل راحوا يتهمونه بالسحر والكذب وطلبوا منه أن يقدم لهم معجزة أو علامة على أنه رسول من الله، فأتاهم بالناقة وأمرهم ألاّ يمسوها بسوء وجعل لها شرباً في يوم معلوم، وجعل لهم شرباً في يوم غيره، وتوعدهم بالعذاب إن اعتدوا عليها بسوء، ولكن عندما رأوا صدق نبوة صالح بيتوا في أنفسهم شراً نحو الناقة، فأقدموا على ذبحها غير مبالين واستعجلوا العذاب، فكان هلاك القوم بالصاعقة "فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون" وبذلك هلك القوم بسبب جبروتهم واستكبارهم. ومن الدلالات التربوية لهذه القصة:

- تغرس في نفس الدعاة استخدام الأساليب المنطقية الحكيمة مع غيرهم، وهذا ما حدث مع سيدنا صالح[1]. بقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾[2] الآثار التربوية أن على الداعية أن يذكر الناس باليوم الآخر لأنه يدفع إلى العمل الصالح وطاعة الله ورسوله، ففي قصة سيدنا صالح الدعوة واضحة بدليل قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾[3] وعلى الداعية التحذير من الظلم والطغيان والاستكبار والفساد في الأرض والفسوق وفعل السيئات، فكل ذلك يتعارض مع الإيمان بالله وطاعة الله ورسوله، وهو يسبب اضلال المجتمع وانشقاقه ويؤدي إلى ضعفه وضعف وضعف بنيانه، ويجعله معرضاً للانهيار[4]، "وسيدنا صالح قد أحكم لبنة صالحه في البناء الإنساني المحكم إضافة إلى اللبنات السابقة (آدم، نوح، ...) هذه اللبنة كانت تحذر الإنسانية من مغبة البطر، ونتيجة الترف، عدم شكران النعمة[5].

الدلالات التربوية لقصه إبراهيم -عليه السلام-.

إن في قصة إبراهيم -عليه السلام- ما يثري حياة الإنسان من رفعه وعلو منزله، فإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وعندما بعث إلى قومه وجدهم عاكفين على عبادة

---

[1] الطنطاوي، القصة في القرآن الكريم، ص ١٣١.

[2] سورة النمل، الآية (٤٧).

[3] سورة الحاقة، (٤).

[4] عمر: رسالة الأنبياء، ١/١٧٦.

[5] عباس: فضل حسن، القصص القرآني أبحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٧، ص ١٢٨.

الأصنام كما عكف آباؤهم وأجدادهم من قبل. فمن الدلالات التربوية لهذه القصة:

- ترك التقليد الأعمى والعمل بالعقل والمنطق، فلا نسير على خطاهم. فالزمان يتغير والأفكار تتغير فيجب مواكبة الحدث الواقع دون تقليد لما سبق.
- أنها تربي الإنسان على أن البدء في الدعوة يكون بذوي القربى كما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام بأن بدأ والده بالدعوة، وكذلك سيدنا محمد عليه السلام. فقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [1] إضافة إلى أنه استخدم أسلوب تعليمي تربوي جميل في التعامل مع الوالدين واحترامهم فقد كان يخاطبه بلهجة تسيل أدباً ورقة وشفقة فهذا أسلوب يربي في النفس الإنسانية كيفية التعامل اللائق مع الوالدين والتربية على مقابلة الإساءة بالإحسان، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۝ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۝ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۝ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [2]. فهذه الآيات كلها تربية للإنسان وكلها نصح واستعطاف وأدب وتربية على أن دخول الجنة يكون بالعمل والتقوى.
- تغرس في نفس الإنسان الثقة العظمى بالله تعالى كما حدث مع سيدنا إبراهيم لقوله تعالى: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [3]" فكانت برداً وسلاماً بأمر الله.

---

[1] سورة الشعراء، الآية (٢١٤).

[2] سورة مريم، الآية (٤٧-٤٨).

[3] سورة الممتحنة، الآية (٤).

- أن الله يظهر أسرار ملكوته لتكون داله على ربوبيته فمثلاً الله تعالى خلق الشمس وخلق القمر والكواكب فهو لم يخلقها عبثاً بل لحِكم منها أن هذه المخلوقات تقوم بوظائفها، ومنها أنها علامات كونية داله على ربوبيته سبحانه وتعالى، إضافة إلى تربية الإنسان على عدم احتقار المعبودات الأخرى غير الله ومجاراة العابدين من هذه العبادات وقد يجد البعض أن هناك آيات تعلن المفاصلة بين معبودات الكافرين وعباداتهم، قال تعالى: ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾، وقال تعالى بلسان إبراهيم -عليه السلام-: ﴿إنكم لما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾، فمثل هذا يكون الرد عليهم بأنه ما فعله إبراهيم -عليه السلام- لم يكن مجاراة وإنما هو استدلال على فساد المعبودات وحين قال القرآن ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ علل ذلك بقوله ﴿فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾. وبذلك يغلق الباب ويمنع الأسباب التي تتسبب من حمل الكفار على سب الله -سبحانه وتعالى-.
- التأسي والإقتداء به. قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[1] ويكون الإقتداء بصدق اليقين والثبات والشجاعة وقوة الإيمان، وحب العقيدة، وكره الشرك، والتربية على مقابلة الإساءة بالإحسان مما ينبغي أن يتسلح به الإنسان الراشد، فلا يستعمل من الكلام إلا ما طاب وحسن.
- وتربي في نفس الإنسان أن الملك سبب تأله النمرود فلو كان الملك الذي حاجّ إبراهيم في ربه فقيراً فاقداً للسمع والبصر ما حاج إبراهيم في ربه، وإنما حاجه في ربه لأنه (آتاه الله الملك) وقد ذكر القرآن حقيقة واضحة (إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى) قد يبالغ في الطغيان إلى إدعاء الربوبية والألوهية والنفس الخبيثة لا يؤثر فيها ابتلاء بدليل قوله: ﴿فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون﴾ ومع ذلك قست قلوبهم فلم يتضرعوا

---

[1] سورة الممتحنة، الآية (٤).

إبراهيم عليه السلام فهو ولد لأب جاهل كافر وكان من الممكن أن يستمع لوالده وإلى بيئته التي نشأ فيها وهي كلها عبادة للأوثان والأصنام فيضيع إبراهيم. ولكن إبراهيم رفضت فطرته هذا العبث فخرج يلتمس ربه في الكون الواسع وينظر إلى الكواكب، فالأنبياء لا تؤثر بهم تقاليد ولا أذى مؤثرات تؤثر في الفطره كما في إبراهيم وموسى ويوسف - صلى الله عليهم وسلم-. فهذا درس تربوي لإعادة الإنسان التفكير فيما هو عليه من عقائد هل هو حق أم باطل؟[1].

- في القصة انعكاس تربوي من إبراهيم عليه السلام ليحرر الناس فكرهم من ظلمات التقليد الأعمى فقد صاح إبراهيم عليه السلام ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ فهذه حرية إلى أبعد مدى والإقناع إلى أعظم ارتفاع"[2] وفي القصة أيضاً حث للداعيه بأن لا تكون دعوته فقط كلامية بل تكون أيضاً فعليه، فإبراهيم عليه السلام جعل أصنامهم جذاذاً إلا كبيراً لهم وجعل عمله وسيلة لمحاجتهم حتى أفحمهم فلجئوا إلى مخاشنتة وإلقائه في النار[3] .

- بعث الدعاة على الاقتداء بالأنبياء -عليهم السلام- وأخذ العبرة العظيمة من الاقتداء بهم، ومن جوانب الاقتداء بالأنبياء قوة العلم بالله عز وجل واثر ذلك في صدق الإيمان وكمال التوحيد ويتمثل بهذا في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام **(يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً)**. حيث بالعلم تنتج آثار تربوية في النفس مثل شدة التعظيم لله عز وجل والخوف منه"[4]. فضلاً عن كثرة ذكرهم لله عز وجل وشدة دعائهم له سبحانه وتعالى وقوة العبادة، وكمال التوكل على الله عز

---

[1] شلبي: محمود، حياة إبراهيم، دار الجيل، بيروت/ لبنان، ط٤، ١٩٨٢، ص ٤٣٦.

[2] شلبي: حياة إبراهيم، ص ٤٤٢.

[3] النجار: عبد الوهاب، قصص الأنبياء، دار الهجرة، الأردن - اربد، د.ط، ١٩٩٥، ص ١٥١.

[4] الجليل: عبد العزيز بن ناصر، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، ودار طيبه، السعودية، الرياض، ط٢، ١٩٩٨، ٥٣/٣.

وجل والرضا بحكمه[1] كما أن من الآثار التربوية الإقتداء بهم من جهة الأخلاق والسلوك، فهناك أخلاق كثيرة يجب الاقتداء بها إضافة إلى السلوك مثل النصح والرحمة والشفقة والصبر والتقوى والكرم والجود، ومن جوانب الاقتداء بالأنبياء -عليهم السلام- الاقتداء في الدعوة والتبليغ، فيبدأ بالعقيدة أولاً، لأن العقيدة أساس المفاضلة والتميز على ضوئها، والإخلاص في الدعوة وعدم ابتغاء الأمر إلا من الله عز وجل، والتعرض للأذى والصد في سبيل الله -عز وجل- من قبل أعداء الدعوة، والتدرج في الدعوة ومراعاة المصالح والمفاسد والسنه الربانية في دعوة الأنبياء -عليهم السلام-[2].

الدلالات التربوية لقصة سيدنا لوط -عليه السلام-.

- أن النفوس إذا انتكست، والعقول إذا ارتكست، تحولت الرذائل بالنسبة لها إلى فضائل، والنجاسات والخبائث إلى فعل عادي، وهذه تربية على استخدام الأساليب الحكيمة للدهي عن هذه الفاحشة القبيحة والتأسي بسيدنا لوط عندما استخدم أسلوب التذكير بأن هذه الفاحشة لم يسبقهم بها أحد وتارةً أخرى أسلوب الرشد، بان هذا العمل يدل على الجهل، وتارة يلجأ إلى خالقه يلتمس منه النجاة والنصرة على المجرمين.
- أن حكمة الله اقتضت أن تكون عقوبته عادله للمجرمين فكانت العقوبة مناسبة مع قبائحهم بأن جعل ما هو الأعلى من قريتهم هو الأسفل فهلكوا جميعاً.
- وفيها تربية لاستهجان جريمة اللواط، ووعد من الله بالعذاب الشديد لمرتكبها في الدنيا والآخرة. فاللواط من أقبح الفواحش، فهو يدل على فساد ومرض الإنسان، وخطره على المجتمع الإنساني، فهو انحدار إلى ما دون الحيوانية، وفي القصة تربية على أن الحرية الشخصية لا تعني إباحة هذه الشهوة التي تفسد الرجال والنساء على حد سواء

---

[1] الجليل: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، ٣/٨٠.

[2] الجليل: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، من ضوء القرآن الكريم، ص ٨١.

وبالتالي القضاء على نظام الأسرة، وبالتالي تعطيل النسل الذي سنه الله لعمارة الكون، مما يقضي على تماسك المجتمع وسلامته.

- ومن الناحية الاجتماعية والصحية: فإن اللواط له آثار سلبية سيئة في صحة الإنسان فاللواط ينقل إلى الإنسان ما ينقله الزنا من الأمراض: كالزهري. والسيلان والقرحة والرخوة وأمراض الجلد كالجرب وسواه من الأمراض، ففي هذا تربية للإنسان بأن الله تعالى لم يأمر الإنسان إلا بما فيه سلامته وسعادته، ولم يحرمه إلا لما فيه من ضرر"[1].

- حذر القرآن جميع المجتمعات والشعوب من ارتكاب هذه الرذيلة حتى لا يصيبهم مثل ما أصاب قوم لوط وهذا التحذير على مر العصور والقرون، لتحذر المجتمعات عاقبة الفساد ولتكون هذه العاقبة عبرة لمن يعتبر، وفي القصة تربية للسعي في البحث عن أعوان وإن كان هذا المعاون من أهل الشر فإن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر قال تعالى بلسان لوط: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[2] . فما حدث لقوم لوط من تدمير للمنحرفين ما هو إلا بمثابة تذكير لكل من يحذو. حذوهم، وأن الهلاك مصيره بلا ريب، وان تفشي الشذوذ الجنسي بين الرجال وتغلغله في أي مجتمع فإنه يشير إلى التدهور الاجتماعي والخلقي في ذلك المجتمع، ثم إن فعلة قوم لوط مخالف للفطرة الإنسانية فمن فعل منهم فهو مريض نفسياً وشعورياً وشهوانياً، فالإنسان السوي المستقيم تتربى نفسه عن فعل هذا وتتقزز من ذلك، ثم لننظر في واقعنا فهناك الكثير من البشر مصابين بمرض الإيدز الذي هو حصاد الشذوذ الجنسي الذي يودي كل عام بحياة الآلاف في العالم فلا علاج له، ولكن العلاج شرعياً وتربوياً ونفسياً هو العفة والطهارة، والتوجه إلى النساء شرعاً.

---

[1] طبارة: مع الأنبياء، ص ١٤٨.

[2] سورة هود: الآية (٨٠).

- أن في القصة عبرة وعظة من قراهم التي أصبحت بيوتهم عاليها ساقلها، قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [1] والاعتبار والاتعاظ بجعل القلب ينظر ويتدبر ويقود إلى الالتزام بالطاعة والخير، والإقلاع عن الفساد والشر.

ويمكن إجمال القول في هذه الفاحشة أنها:-

- جنايه على الفطرة البشرية.
- مفسدة للشبان بالإسراف في الشهوة لأنها تنال بسهوله.
- مذلة للرجال وفيها خزي ومهانه.
- مفسده للنساء اللاتي يعزف أزواجهن عنهن.
- قلة النسل بانتشارها فإن من لوازمها الرغبة عن الزواج، والرغبة في إتيان الأزواج في غير مأتى الحرث، وقد لعن فاعل ذلك.
- إنها ذريعه للاستمناء ولإتيان البهائم، ومما يدل على ذلك قوله تعالى عن رسوله لوط عليه السلام: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ [2] فقصد الشهوة لذاتها يفضي إلى وضعها في غير موضعها، وإنما موضعها الزوجة الشرعية[3].

الدلالات التربوية لقصة سيدنا شعيب -عليه السلام-.

- أن الرسل جميعاً قد جاءوا برسالة واحده في أصولها ألا وهي الدعوة إلى إخلاص العبادة الله، والحض على التحلي بمكارم الأخلاق وهذا واضح في كل دعوات الأنبياء (نوح، هود، صالح، شعيب.." فكانت النصيحة الأولى من كل نبي **(يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)** وقصه سيدنا شعيب تربي الإنسان العاقل والحكيم على أن يهم بإزالة

---

[1] سورة الذاريات، الآية (٣٧).

[2] سورة الأعراف، الآية (٨١).

[3] فريد: تيسير المنان في قصص القرآن، ٦١/٢.

المنكرات المنتشرة في البيئة كما فعل سيدنا شعيب فقد بدأ دعوته لقومه بالنهي عن الشرك ثم أمرهم بإيفاء الكيل والميزان، ونهاهم عن إيذاء الناس والإفساد في الأرض.

- تغرس في نفس الداعية ألاّ يكتفي بأسلوب واحد في دعوته، فتاره يرغب ويرهب وأخرى يبشر وينذر، وقصة سيدنا شعيب تربي الإنسان على التفريق بين اللين والضعف، فالإنسان العاقل يلتزم الأدب في الحوار بكل تواضع، وعند المناقشة والجدال يعمل على زجرهم زجراً رادعاً، فسيدنا شعيب خاطب قومه بكل أدب ولكن عندما طلبوا منه العودة إلى ملتهم زجرهم بقوله: **(قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها)**. وعندما قالوا له: **(لولا رهطك لرجمناك وما أنت علين بعزيز)** رد عليهم بقوله: **(أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا بأن ربي بما تعملون محيط)** فهذا سيدنا شعيب في موقف اللين وفي موقف الشده، فهو لم يغضب لنفسه وإنما غضب عندما تطاول قومه على خالقهم.

- إنها توضح الطريقة التي يجب أن يسلكها المصلح ليكون ذا أثر فعال في إصلاح مجتمعه فقال تعالى على لسان شعيب: **(وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله)** إصلاح مجتمعه فقال تعالى على لسانه: **(وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)**. ففي الآية الكريمة درس تربوي للمصلح بأن عليه أن يراعي في سلوكه كل كلمة وكل تصرف يصدر منه، ذلك لأن السلوك أكثر تأثيراً من الكلام، وفي الآية دلالة تربوية أن المصلح أو الداعية يكون عمله مجرد لوجه الله فيكون في النهاية النجاح والفوز.

- الحض على الأمانة والاستقامة في البيع والشراء وترك الغش بالكيل والوزن والإفساد في الأرض وهذا يؤدي إلى سخط الله والتعرض للعقوبة الشديدة: قال تعالى: "**ولا تبخسوا الناس أشياءهم**" ففي الآية دلالة على عدم البخس في الأشياء الحسية والمعنوية الحسية كالمعاملات في الأوزان والمكاييل، والمعنوي مثل احترام الناس

وتقديرهم حسب تضحياته للمجتمع، وفي الآية وصية من الله تعالى فيها الخير لجميع الأطراف.

- الرضا بما أعطى الله وقصر النظر على ما هو موجود عند الإنسان.
- تربية الإنسان على أن الناصح للناس بأمر أو نهى أن يكون أول الفاعلين للأمر وأول التاركين للنهي، إضافة إلى تربية الإنسان على أن يتصف بالحلم وحسن الخلق ومقابلة الإساءة بالإحسان، وأي أذى يتعرض له الإنسان لا يدعوه إلى الصد عن دعوته، وهذه دعوة تربوية للإنسان تبين ضعف القوة البشرية أمام القوة الإلهية، وتربية الإنسان على أن يكون الاعتزاز والمراعاة والاعتبار لله رب العالمين، ورفض الاعتبار القائم على القيم المادية الجاهلية فسيدنا شعيب دعا قومه إلى جعل الاعتبار لله وإلى تكريم من كرمه الله، وإلى أهانه من أهانه الله، ولكن قومه لم يستجيبوا لدعوته فهم كفار جاهلون[1]. قال تعالى: ﴿قال ياقوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط﴾ [2].

ويمكن أن نلخص الآثار الإيمانية والتربوية من قصة شعيب مع قومه في آمرين.

الأول: أن بخس المكاييل والموازين وبخس الناس أشياءهم هو من أعظم الجرائم الموجبة لعقوبات الدنيا والآخرة.

الثاني: إن الناصح للخلق الذي يأمرهم وينهاهم، من تمام قبول الناس لقوله أن يكون أول الفاعلين للأمر وأول التاركين للنهي[3] لقول الله تعالى بلسان شعيب عليه السلام: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ [4].

---

[1] الخالدي: القصص القرآني، ٢/٢٤.

[2] سورة هود، الآية (٩٢).

[3] فريد: تيسير المنان في قصص القرآن، ٢/٨٠.

[4] سورة هود، الآية (٨٨).

الدلالات التربوية لقصة موسى -عليه السلام-

الدلالات التربوية في هذه القصة كثيرة وقد تكررت قصته في القرآن لأنها اشتملت على كثير من الأحداث والوقائع والمحاولات... فمن هذه الدلالات التربوية لهذه القصة:

- أن الحق لن يزول أنصاره وإن كان عددهم قليلا ولو كثر عدد المتجبرين فسيدنا موسى -عليه السلام- خلال الوعيد والتهديد من فرعون وملئه قيض الله تعالى له رجلاً مؤمناً من آل فرعون كان يخفي إيمانه، وهذا الرجل أخذ يدافع عن موسى مرة بالترغيب وأخرى بالترهيب وتارة بالإرشاد، الترغيب بقوله **(أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم)**، والترهيب: **(ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التنادي)** والإرشاد **(وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد)**. فهذه الآيات تدل على الأساليب الحكيمة في سبيله بكل شيء، كما فعل السحرة فبعد أن اعتقدوا أن ما جاء به موسى عليه السلام أمامهم ليس سحراً، وإنما هو معجزة، وما كان منهم إلا أن آمنوا برب موسى وهارون، وسجدوا لله تعالى.
- تربية الإنسان على أن سنة الله أقتضت أن يجعل نصره وثوابه في النهاية الأخيار، وأن يجعل خذلانه وعقابه للأشرار، فقد سلك سيدنا موسى -عليه السلام- أحكم الوسائل وأبلغ الأساليب، ولكن فرعون طغى وتجبر وأصر على كفره فماذا كانت النتيجة؟ أن نجى الله تعالى موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين وأغرق فرعون وجنده الكافرين، وأتبعهم في الدنيا لعنة وفي الآخرة جعلهم من المقبوحين.
- تربية الإنسان على أن الظلم إذا عمّ وطم فإنه يؤذن بزوال وهلاك الظالم، فمع أن فرعون قد جمع الموبقات، وادعى الألوهية وأنكر رب العزة، إلا أن الله عز وجل علل زوال ملكه، ونصرة المستضعفين بقوله: **(إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شعيباً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين)**، وفي قوله عز وجل: **(نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون)** في هذه الآية

توجيه للإنسان وتربية له فالقرآن الكريم يربي ويرسم للإنسان المنهج ويشق الطريق وهذه الآية تلقي العناية والاهتمام بالمؤمنين وتشعرهم بقيمتهم العظيمة ومنزلتهم العالية والرفيعة وهم أهل لتلك العناية الكريمة.

- البعث في الإنسان النظرة التفاؤلية وهذه النظرة تبعث من الله تعالى، ففي القصة أن أهل الباطل مهما طغوا وبغوا وملكوا من أسباب البطش والتنكيل فعلى أهل الإيمان أن يستبشروا بنصر الله وينتظروا فرجه.
- التربية على الدعاء وحسن الظن والتوكل على الله عز وجل كما فعل موسى عليه السلام حيث توجه إلى الله عز وجل بالدعاء بالنجاة من القوم الظالمين وطلب الهداية إلى السبيل، وهذا تربية للإنسان إلى أن يتعلق قلبه بالله عز وجل ويرجو الخير من عنده ودعائه ورجائه عند الشدائد.
- تغرس في الإنسان تعلم شكر النعم، فموسى لما غفر الله تعالى له شكره، وتربية على سوء صحبه الأحمق، وتربيه على أن الخوف الطبيعي لا يلام عليه فموسى عليه السلام خاف خوفاً أدى إلى اللجوء إلى ربه بالدعاء فدعاه واستجاب إليه.
- ومن الآثار الإيمانية والتربوية للإنسان اليقين بأن رحمة الله عز وجل بعباده اعظم من رحمتهم لأنفسهم، فالله عز وجل أرحم بالعبد من نفسه، وأعلم من نفسه فهو عز وجل ارحم الراحمين.
- تربية الإنسان على أن المعجزات هي من جنس ما هو شائع في القوم فمثلاً كان الطب هو الشائع في زمن سيدنا عيسى عليه السلام فجاء بإحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص، وهذا لا يكون إلا في مجال الطب، وفي زمن سيدنا محمد عليه السلام كان الغالب الفصاحة والخطب والشعر، فجاء القرآن وتحداهم به، وفي زمن سيدنا موسى عليه السلام الغالب كان السحر حيث جعلوا بالحيل العصى والحبال متحركة، حتى أوهموا إنها أحياء، فجاء سيدنا موسى بمعجزة من الله تخذل قوم السحرة.

- فضلاً عن التربية على بطلان السحر وعدم فلاح أهله لقوله تعالى: ﴿**ولا يفلح الساحر حيث أتى**﴾ وأن الحق والباطل إذا التقيا فالغلبة تكو ن دائماً للحق.
- المداومة على العمل الصالح في الرخاء لتكون سبباً للنجاة في الشدائد، فلما كان فرعون جاحداً كافراً تاركاً لذكر الله عز وجل ولما وقع في البحر قال ﴿**آمنت أنه لا إله إلا الله أمنت به بنو إسرائيل**﴾، فقال تعالى: ﴿**الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين**﴾.
- أن الشعوب التي تنشأ في جو الاستبداد والظلم والاضطهاد من قبل حكّامها تفسد أخلاقها وتذل نفوسها، ويصبح حكم الطاغي والظالم أمر مستساغ وتصبح الأخلاق الدميمة موروثة وتكون طبيعية فالفراعنة حكام ظالمين طبعوا الناس بطابع المهانة والذل إلى أن جاءهم سيدنا موسى عليه السلام يدعوهم للجهاد ولكن نفوسهم لم تطاوعهم على الجهاد.
- تربيه الإنسان على أن ما حل من أنواع شتى من العقاب للجبابرة هو نتيجة كفرهم وظلمهم فيجب أخذ العبرة من عقاب الجبابرة والقرآن الكريم يذكر أنواع الهلاك بقوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1] فمنهم من هلك بالريح ومنهم من هلك بالصاعقة ومنهم من هلك بالغرق وآخرون بخسف الأرض بهم، وفي قصة موسى عليه السلام مع فرعون وما حدث من ظلم واستكبار ثم غرق في اليم (البحر). هذه الأحداث فيها تربية للإنسان على دعوة الناس إلى النظر في تاريخ من قبلهم وأن الحصول على السعادة لا يكون إلا بالإيمان والعمل الصالح.

---

[1] سورة العنكبوت (٤٠)

- وفي القصة تربية على تحمل الآلام والمصائب لأن بها تمتحن النفس الإنسانية، أي امتحان الجوهر (العقيدة) ودرجة تغلغلها في النفس، فحذر القرآن الكريم من الإيمان السطحي والإيمان الضعيف.

- الحرية وتقرير حرية الناس للتخلص من استعباد الأقوياء، فالقرآن الكريم يعلن بأنه لا موجب لأن تستضعف أمة غيرها وتخضعها لقوتها وسيطرتها، وإذ فعلت مثل ذلك كان الله في عون المستضعف فينصره ويحرره من الاستعباد والطغيان.

- ومن الناحية الاجتماعية في القصة تربية للإنسان إلى التخلص من التقليد فالتقليد علامة دالة على الجمود والتخلف مما يجعل الأمة غير قادرة على الحركة والسير على استخدام العقل والسير في طريق التقدم.

- على الإنسان المتمسك بالحق ألاّ يبالي بمن خالفه ولو كان عظيماً فموسى -عليه السلام- قال له فرعون (**إني لأظنك يا موسى مسحوراً**) فكان رد موسى عليه غير مبالٍ ولا مكترث لملكه وسلطانه وإني لأظنك يا فرعون متبوراً. أي هالك بعد أن حاسنه موسى كل المحاسنة وتلطف به كل اللطف[1].

- أن المجتمع ما دام ذليلاً ومقهوراً ومغلوباً لا يطالب بحقه فلا يقوم له أمر دينه ولا دنياه.

- وتربيه على أن من اعظم نعم الله على العبد تثبيت الله له عند المقلقات والمخاوف، فإنه بالأيمان يتمكن من القول والفعل الصواب ويضل إيمانه ثابتاً ومن لم يزدد إيمانه فإنه يبقى قلقاً ويضيع فكره، وفي القصة آثار فيما يستفاد من العصا ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ [2] ففي الآية استحباب استصحاب العصا لما فيها من المنافع فهو

---

[1] النجار، قصص الأنبياء، ص ٣٥٩.

[2] سورة طه، الآية (١٨).

يتوكأ عليها في الصحراء ويهش بها على غنمه وحماية له من ثعبان فالعصى تكون حيث توجد حاجه إليها، ويستفاد من العصى أيضا الرحمة بالبهائم والإحسان إليه.

ويمكن تلخيص الدروس والدلالات التربوية لفرعون وقومه في النقاط التالية:

- يستخدم الظالمون والطغاة وسائل وأساليب غير قانونية ولا أخلاقية، ولا إنسانية، في مواجهتهم الحق وجنوده، منها قتل أبناء المؤمنين واستحياء النساء كما فعل آل فرعون.
- الطغاة المتجبرون يريدون من وسائلهم في حرب الدعوة والدعاة إرهاب الآخرين وتخويفهم عن طريق البطش بالدعاة.
- المتجبرون يحرصون على أن يشركوا معهم الجماهير في مقاومة الحق والبطش بجنوده، وتحميلهم مسؤولية ذلك وإشعارهم بأنه قضيتهم الأساسية، ويظهرون أمام الناس أنهم حماة الدين ورسل الإصلاح وحراس الآمن.
- الطغاة المتجبرون يتهمون الدعاة بالكفر والفساد والتخريب وأنهم ضد الدين والأمن.
- على الداعية وهو يواجه الطغيان أن يلجأ إلى ربه، ويتوكل عليه ويركن إليه.
- الطغيان مدمر لصاحبه، مفسد للحياة، مؤذٍ للآخرين، والإيمان هو صمام الأمان للحياه السعيدة.
- جواز أن يكتم المؤمن إيمانه وان يُسر به، إذا كان في ذلك مصلحة للدعوة، كما فعل مؤمن آل فرعون، وكما فعل سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- في بداية الدعوة السرية.
- إقبال شخص على الإيمان، وانتماؤه للدعوه، دليل تمكن الخير منه، وتوفر معاني الفضيلة والرجولة والصدق فيه.
- الكلمة الصادقة والواثقة الجريئة أقوى من الباطل، ولن يصمد لها الباطل في أية مواجهات فكرية حواريه جدلية.

- على الداعية إن يستخدم أفضل الأساليب وشتى المؤثرات ومختلف الوسائل التي يصل به إلى قلوب المدعوين، وأن يدخل ميدان الدعوة بعلمية ومنهجية مدروسة.
- على الداعية أن يتصف بالموضوعية وهو يخاطب الآخرين، وأن يحترم عقولهم وثقافاتهم.
- الطغاة الجبابرة يدعون الناس إلى أن يلغوا عقولهم، ويمتنعوا عن البحث والتفكير، فهم يفكرون عنهم، ويقدمون الآراء والأفكار.
- الطغاة الجبابرة لا يسمحون برأي معارض لهم، ولا بأناس يخالفونهم ويقفون أمامهم.
- يحرص الجبابرة على إشغال الجماهير بأمور جانبية هامشية ثانوية ليشغلوهم عن الأمور الأساسية، وينسوهم القضايا المصيرية، ليتخلوا عن أهدافهم الأساسية كما فعل فرعون عندما أمر هامان ببناء الصرح ليطلع على إله موسى، وذلك ليشغل الجماهير وليصم آذانهم عن قوله الحق.
- على الداعية أن يستخدم مع المدعوين منطق الانتظار، وعامل المستقبل ليروا فيه مصداق كلامه، وليذكروا ما قاله لهم من قبل، وحذرهم من الوقوع فيه، فيقوم بتذكيرهم بذلك.
- على الداعية أن يستعلي بإيمانه ويعتز بدينه، ويتوكل على ربه فهذا أعظم عوامل الثبات في مواجهة قوى الطغيان المتجبرة.
- ساحة المعركة بين الحق والباطل ليست محدودة بزمان ولا موقع ولا ميدان، فهي شاملة لكل المواقع والميادين، والمجالات والأزمان والأمكنة[1].

---

[1] الخالدي: مع قصص السابقين "القرآن الكريم/ ٢/١٣٧.

الدلالات التربوية لقصة قارون

أما قصة قارون المتجبر بسبب المال والثراء فإنها تعكساً آثاراً ودروساً وعبراً كثيرةً منها:-

- أن قصة قارون تربي الإنسان على أن المال من أكبر الفتن التي تحمل ضعاف الإيمان أو فاقديه على البغي والعدوان قال تعالى: ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم﴾[1].

- تربي الإنسان على الموازنة بين الحياتين الدنيا والآخرة، فيعمل للدنيا كأنه يعيش أبداً ويعمل لأخرته كأنه يموت غداً، **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله إليك)**.

- أن الظلم والبغي بشتى أنواعه لا يؤدي إلا إلى أوخم العواقب، وأن الغرور والإعجاب بالنفس مدرجة إلى المهالك.

- تدعوا إلى دراسة السابقين والتأسي بالصالحين ونتجنب مصير المفسدين وبالتالي نقي أنفسنا مصارع السوء.

- أن السعة في الرزق ليس دليلاً على حب الله كما أن التضييق فيه ليس دليلاً على غضب الله وإنما كل منهما يجري بقدر وحكمه وعلى من بسط له في الرزق الشكر، وعلى من ضيق عليه أن يرضى ويصبر. والتربية على أن درجات العلا والنعيم لا ينالهما إلا المتواضعون الصالحون المتقون.

- أن ميزان المادة غير دقيق بل يقبل الاختلال والغش فصاحب المال والجاه يلتف حوله الناس ويسيرون وراءه فإذا زال هذا المال أو الجاه انفضوا من حوله وأن الإسلام

---

[1] سورة العلق (٦-٧).

لا يقيم وزنا للماديات إلا بمقدار ما تعطي الحياة من نفع وخير وأن الملبس الجميل الغالي لا يستر نفساً خربه، والقلب الملء بالإيمان والتقوى لا يزريه فقر اليد[1].

- حفظ المال واستثماره فيما يرضي الرازق، وشكر الله المنعم المتفضل ويكون شكره بتأدية حق الله تعالى فيها والأموال، والاعتراف بفضله، ولكن أموال وكنوز قارون ألهته عن الشكر وحرفته عن الاعتراف بفضل الله[2].
- وفيها درس تربوي لأغنياء زماننا بأن يخففوا من غلوهم بناطحات السحاب الذين سابقوا بها قارون، بل دفعوه خلف ظهرهم ومباراتهم في التسابق بجمع المال، وبجانب من ينشد لقمة العيش ولم يجدها، فالمال وان كان عصب الحياة، فهو في الوقت نفسه وبالٌ على من يسيء استخدامه في غير وجهه الصحيح، وأن الإمساك به ومنعه عن مستحقيه، دمار وخراب، بل وهلاك للبلاد والعباد، وعذاب أليم، وحساب دقيق يوم التناد، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [3][4].
- تمثل قصة قارون آثاراً إيمانية وتربوية في جانب الطغيان بالمال والغرور بالعلم، وكيف مآلها إلى الفناء إذا تسلطت الأهواء، وسيطرت الأطماع، وتحول الإنسان من مجرد مخلوق من مخلوقات الله إلى متجبر متكبر يعلو بنفسه فوق الناس، ويزهو ويتعالى عليهم، وينظر إليهم بمنظار الاستعلاء والاستكبار، فهذه القصة وردت على سبيل العظة والعبرة لإثبات إن كل شيء مآله إلى زوال وأن الباقي هو وجه الله ذو الجلال والإكرام[5]".

---

[1] نداء: محمد محمود: من القصص الحق، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، د. ط، ١٩٩٤، ص ٣٩٧.

[2] الوكيل: محمد السيد، نظرات في أحسن القصص، دار القلم والدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ١٢٨/٢.

[3] الشعراء، الآية (٨٨-٨٩).

[4] الحجار: محمد، من قصص التنزيل، دار البشائر الإسلامية، بيروت -لبنان، ط١، ١٩٩٩، (ص ٢٨٤).

[5] العمري: أحمد جمال، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ٢٩٢.

ويمكن تلخيص أهم الدروس والعبر التربوية من قصة قارون فيما يلي:-

- الطغاة يلتقون على صفة الطغيان وإن تفرقت أوطانهم، وأختلفت أجناسهم ولذلك قـون القرآن قارون مع فرعون.
- تختلف أسباب الطغيان عند الطغاة، فمنهم من طغيانه بسبب السـلطان، ومنـهم مـن طغيانه بسبب المال، ومنهم من طغيانه بسب الوظيفة والجامع بينهما أن الناتج عنـها يسمى طغياناً.
- ابتلى قارون بكثرة أمواله وعظمة كنوزه، وكانت هي السبب في هلاكه وخسرانه.
- انقسام بني إسرائيل فريقين في نظرتهم إلى قارون، وموقفهم من فتنته، وهكذا كل أمه تنقسم إلى فريقين إزاء الفتنه.
- لا بد من وجود مؤمنين صالحين صابرين، ينصحون الطغاة البغاة، كما فعل المؤمنون مع قارون.
- قاعدة قرآنية عامه: إن الله لا يحب الفرحين، الذين يقودهم فرحهم بنعم الله إلى الكـبر والخيلاء، والبطر والغرور، والظلم والفساد.
- الفرح في الإسلام فرحان: فرح مباح وهو مطلوب ومرغوب، وهو سرور المؤمـن بنعم الله عليه ورضاه بها وشكره لله عليها، وفرح محرم وهو الذي يقود إلى الغرور والفخر والبغي.
- الفرح الحقيقي لا يكون إلا بشيء باقٍ دائم، وهو فضل الله ورحمته ونعيمه وجنته، أما الفرح بشيء عرضي زائل مثل الدنيا وزخرفتها، فهذا دليل السذاجة والغفله.
- المؤمن يوجه كل نعم الله نحو الدار الآخرة، ويبتغي بها الجنة.
- الإسلام يحث على الاستمتاع المباح بنعم الله في الحياة الدنيا، ويجعل هذا الاسـتمتاع المباح عبادة يثاب صاحبها عليها.

- المسلم لا يعادي المال، ولا يمتنع منه، بل يأخذه وفق ضوابط شرعيه ويستمتع به وفق ضوابط شرعيه وينظر إليه وفق ضوابط شرعيه.
- مقابلة إحسان الله للإنسان بالنعم والطيبات بالإحسان مع الله من حيث شكره عليها، والإحسان إلى الناس من خلال نفعهم بها، **(وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان)**؟[1].
- المغرور المخدوع هو الذي ينسى كون النعم التي عنده من الله ويظن أنه جمعّها بجهده، أو منحت له لجدارته وأهليته، فيقول كما قال قارون: **(إنما أوتيته على علم عندي)**.
- أن أساس التكريم الإلهي للإنسان، لم يكن يوماً المال ولا الجاه ولا الجنس ولا النسب ولا المنصب، بل هو الإيمان والتقوى والعمل الصالح ونفع الناس وتقديم الخير لهم.
- يحرص الطغاة المفسدون على كسر قلوب الآخرين، وعلى غرس الشعور بالمرارة والحرمان في نفوسهم، فيختالون عليهم وينتفشون، ويخرجون عليهم بكامل زينتهم وينشرون مباذلهم ومفاسدهم.

كثيرون هم الذين يظنون صاحب الحظ العظيم والنصيب الوافر هو ذلك الذي ملك ما ملك من الأثاث والزينة، فيتمنون ان يكونوا مثله.

- ذو الحظ العظيم هو الذي نال نعمة الإيمان والأمان، والرضى والاطمئنان، وفاز بالنجاة والنعيم الخالد.
- الصبر الجميل هو المدد الدائم، والزاد الذي لا ينفذ، في مواجهة ضغط الفتن وقوة الإغراءات وعنف البغي والبطر، ولا يلقاها إلا الصابرون.
- المترفون الفاجرون بممارساتهم وتعرفاتهم الفاجرة يستقدمون عذاب الله، فقارون خرج على قومه بزينته، ومبالغته في فتنتهم وابتلائهم بها، كان السبب لإيقاع العذاب، وابتلاع الأرض له ولماله.

---

[1] الخالدي، مع قصص السابقين، ١/١٩١-١٩٢.

- عندما خسف الله بقارون زالت الغشاوة عن عيون الذين خدعوا به وتغيرت مواقفهم وتمنياتهم فبالأمس تمنوا أن يكونوا مكانه، واليوم حمدوا الله أن لم يكونوا مثله، فسر التناقض هو إرادة الحياة الدنيا.
- شتان بين معرفتين: بين معرفة المؤمنين للحقائق، وهي المعرفة الأصلية الثابتة الناتجة عن الدمار والفطنة، وبين المعرفة المتأخرة الحاصلة لدى السذج المغفلين.
- العاقبة في الدنيا وفي الآخرة لا تكون إلا للمتقين ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، وأن الدار الآخرة لا تكون إلا للأصفياء الصالحين الذين لا يرون علواً في الأرض ولا فساداً.
- الله يعامل المحسنين برحمته وفضله ويضاعف لهم الثواب، ويعامل أصحاب السوء بعدله فيوقع بهم نتائج سوئهم، وهذه سنة الله الدائمة[1].

الدلالات التربوية لقصة (أبرهة الأشرم):

أن ما حدث مع أبرهة الأشرم كان درساً قوياً للجبابرة وهو درس تربوي إلى من يتعدى حدود الله فإن الله سيأخذه أخذ عزيز مقتدر وما فعله أبرهه هو تحدي وعدوان على حرمات الله فهذا البيت هو الذى بناه إبراهيم -عليه السلام-، حماه الله سبحانه وتعالى من أيدي هذا المتجبر المتعالي.

- إظهار قدرة الله تعالى على كل شيء بأن يبعث لهم وسائل وأساليب لتحقيق وعده وإنفاذ إرادته وقهر أعدائه، حيث كان من الممكن أن يبعث الله عقاب الغرق أو الصحة أو المرض... بعث إليهم طيراً ولكن أبابيل قتلتهم وشوهت أجسامهم وجعلتهم الأوراق الجافة، وفي هذا تربية لنا على أن الله حكيم بان أعطى هؤلاء الجبابرة نوع من العذاب يستحقونه[2].

---

[1] الخالدي: مع قصص السابقين في القرآن الكريم، ١/١٩٣-١٩٥.

[2] الخربوطلي: علي حسني، تاريخ الكعبة، ص ٩٠.

- ومن الآثار التربوية لحادثة الفيل أن الله تعالى يسهل الطريق أمام أعيننا بالإيمان به وعبادته ولكن هيهات للأعين أن ترى وتفهم، فالله تعالى جعل الفيل يبرك ولا يلمس الكعبة ، فهذه دلالة على أن الحيوان الذي لا يميز برك عن ضرب الكعبة فكان الأولى بالإنسان العاقل أن يفكر ويتدبر ويتعلم من هذا الموقف الذي حدث أمام العين وإن لا يفعل ما جاء لفعله، ولكن عميت القلوب والعيون عن رؤية دلالات الله وعلاماته، فهو في هذه الحالة أسوء من الحيوان وأضل سبيلا[1].

مما سبق يتبين لنا أن التربية هي المحرك الرئيسي لحركة المجتمع في كل زمان ومكان والتربية عبارة عن مضامين وقيم ومبادئ يتعرض لها الإنسان ويتفاعل مع معطيات الحياة ومستجداتها وتمكنه من مواجهة الحياة ومعطياتها، لذلك إذا استطاع الإنسان أن يتحلى بالفضائل ويترك الرذائل فإن هذا يؤثر في سلوكه ومن ثم يؤثر في المجتمع تربوياً.

وفي النهاية فإن موضوع قصص الجبابرة في القرآن الكريم وموقف القرآن منها لخير تربية للإنسان فبعد دراسة الموضوع والبحث فيه تبين انه موضوع تربوي جميل يحرك الشعور الوجداني والنفسي في الإنسان، حيث فيه توجيه وتعليم وتربية فالواجب على المسلم أن تستقر معاني هذه القصص التربوية وأن تظهر واضحة في سلوكه، وبالتالي يكون قدوة لغيرة من الأفراد أو المجتمع.

---

[1] المرصفي: سعد، الكعبة مركز العالم، ص ١٣.

الخاتمة

الاستنتاجات

التوصيات

الاستنتاجات:

خلصت الباحثة من خلال الدراسة التي قامت بها بهدف بيان مفهوم الجبابرة وموقفهم من دعوت الأنبياء وموقف القرآن منهم فضلاً عن بيان الدلالات التربوية لقصص الجبابرة والدروس والعبر المستفادة منها، إلى الاستنتاجات التالية:

أولاً: إن مصطلح الجبابرة ورد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية. أما كتب التربية الإسلامية لم تتعرض للفظ الجبابرة واستخدمت ألفاظ مرادفة للجبابرة والظلم والطغيان ومن خلال استقراء كتب التفاسير تبين أن معنى الجبابرة: التكبر عن عبادة الله، والتعظيم وعدم التواضع لأمر الله تعالى ويأتي بمعنى القهر والقهر والتمرد والبطش في الغرب والقتل.

ثانياً: هناك ألفاظ ذات صلة بالتجبر كالاستعلاء، والاستكبار، والظلم، والفساد، والبغي، والبطش، والاستبداد وغيرها من الألفاظ.

ثالثاً: إن شخصيات الجبابرة في القرآن الكريم متعددة ومتنوعة وكل شخصية اتخذت شكلاً للتجبر، كالتجبر بسبب الملك ومنهم بسبب المنصب والوظيفة ومنهم بسبب المال والغنى وآخر بسبب العلم فكانت هناك أشكالاً لشخصيات متجبرة.

رابعاً: إن للتجبر أساليب ووسائل متنوعة اتخذها الجبابرة لتحقيق أهدافهم وأغراضهم للوقوف ضد دعوات الأنبياء عليهم السلام-.

من هذه الأساليب والوسائل:

١- أسلوب الاستهزاء والسخرية.

٢- اتهام الأنبياء بالكذب والسحر والجنون.

٣- التهديد بالضرب والرجم.

٤- التهديد بالسجن.

٥- الإغراء بالمال والجاه والسلطان.

٦- الأذى الجسماني.

خامساً: أن الأنبياء عليهم السلام اتبعوا أساليب تربوية علاجية ووقائية للرد على الجبابرة كالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن والقصة ...الخ.

سادساً: أن لقصص الجبابرة في القرآن الكريم دلالات تربوية ودروس وعبر مستفادة منها تنعكس على المجتمع إيجابياً، منها ما يلي:

- الصبر في أداء الدعوة فالصبر يربي الإنسان وجدانياً وإيمانياً وسلوكياً.
- إن النفوس إذا انعكست والعقول إذا ارتكست، تحولت الرذائل إلى فضائل والنجاسات والخبائث إلى فعل عادي.
- أن لا يكتفي الداعية باستخدام أسلوب واحد في دعوته وعليه أن يستخدم الترغيب والترهيب تارة والتبشير والنذير تارة أخرى.
- التربية على بطلان السحر وعدم فلاح أهله.
- تربية للإنسان على الحرية للتخلص من استعباد الأقوياء والتخلص من التقليد الأعمى.
- الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام وأخذ العبرة منهم من صدق الإيمان وكمال التوحيد.
- المال من أكبر الفتن وهو حق لله تعالى ويجب استثماره في الطرق المشروعة. وأن السعة في الرزق ليست دليلاً على حب الله بل هو امتحان وابتلاء.

التوصيات:

توصي الباحثة بناءً على الاستنتاجات السابقة ما يلي:

- تناول كل شخصية من شخصيات الجبابرة والتوسع في البحث فيها لإظهار كل شخصية بصورة أوضح.
- إجراء دراسة مقارنة بين جبابرة الماضي في زمن الأنبياء -عليهم السلام- وبين جبابرة الحاضر في واقعنا المعاصر.
- إعداد دعاة أقوياء في الدعوة الإسلامية وحثهم على مواجهة أساليب الجبابرة والطغاة وتشجيعهم على مقاومتهم بالأساليب الدينية التربوية العلاجية.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع والمصادر

- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرع ية**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الأمان الجديدة، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٣.
- ابن حنبل: أحمد، **المسند**، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. د. ط. د. ت.
- ابن حنبل: أحمد، **المسند**، شرحه ووضع فهارسه احمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٩٩٥.
- ابن عاشور: محمد الظاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، د. ط. ١٩٨٤.
- ابن عباس: **تنوير المقياس من تفسير ابن عباس**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د. ط. د. ت.
- ابن فارس: أبو الحسن احمد بن فارس زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، الدار الإسلامية، د. ط. ١٩٩٠.
- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، دار المعرفة، بيروت – لبنان، د. ط. ١٩٦٩.
- ابن ماجة: أبو عبد الله بن محمد بن القزويني، **سنن ابن ماجة**، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، د.ط، د. ت، دار الكتاب.
- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د. ط. ١٩٦٨.
- ابن هشام: عبد الملك، **السيرة النبوية**، دار إحياء التراث العربي، لبنان- بيروت، ط١، ١٩٩٥.

- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، **تفسير البحر المحيط**، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمود معوض وزكريا عبد المجيد النوني، واحمد الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٣.
- أبو خليل: شوقي، **بدر الكبرى**، دار الفكر، دمشق – سوريا، ط١، ١٩٨٢.
- أبو فارس: محمد، **إن فرعون علا في الأرض**، دار الفرقان، ط١، ١٩٩٨.
- أبو فارس: محمد عبد القادر، **الابتلاء والمحن في الدعوات**، دار الفرقان، عمان، ط٢، ١٩٨٧.
- أبو الوفا: علي الله بن علي، **شفاء العليل في عبد القرآن الكريم**، دار الوفاء.
- الأصفهاني: أبو القاسم الحسن بن محمد الراغب، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، د. ط. ١٩٧٢.
- الألمعي: زاهر بن عوض، **مناهج الجدل في القرآن الكريم**، دار الإمام، د. ط، د. ت.
- الألوسي: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان. د. ط. د. ت.
- البخاري: أبي عبد الله محمد إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله عليه السلام وسننه وأيامه**، ترقيم الكتب محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم، بيروت– لبنان، ١٩٩٥.
- البغوي: أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء، **معالم التنزيل**، تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٨٦.
- بني عامر: محمد أمين حسن محمد، **من فقه الدعوة أساليب الدعوة والإرشاد**، الأردن– اربد، ١٩٩٩.

- بهجت: أحمد، **فرعون والطغيان السياسي**، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٨.
- بيومي: مصلح سيد، **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة**...، المكتبة التوفيقية، ط٢، ١٩٧٩.
- الترمذي: أبي عبد الله بن محمد بن الحكيم، **الأمثال من الكتاب والسنة**، تحقيق علي محمد البيجاوي، دار التراث، القاهرة، د. ط، ١٩٧٥.
- جريشه: علي، **مناهج الدعوة وأساليبها**، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٦.
- الجليل: عبد العزيز بن ناصر، **وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم**، دار طيبة، السعودية- الرياض، ط٢، ١٩٩٨.
- الحجار: محمد، **من قصص التنزيل**، دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٩.
- حفني: عبد الحليم، **أسلوب الوعيد في القرآن الكريم**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠.
- حفني: عبد الحليم، **إنصاف الخصم في القرآن وأثره الإعلامي**، الهيئة المعرفة للكتاب، د. ط، ١٩٩٢.
- حمودة: محمود محمد، وعساف: **محمد مطلق، فقه الدعوة وأساليبها**، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، د. ط، ٢٠٠٠.
- الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، **لباب التأويل في معاني التنزيل ومعه تفسير البغوي معالم التنزيل**، صححه عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٥.
- الخالدي: صلاح عبد الفتاح، **القصص القرآني**، دار القلم الدمشقية والدار الشامية، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

- الخالدي: صلاح عبد الفتاح، مع قصص السابقين في القرآن، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٨.
- الخربوطلي: علي حسن، تاريخ الكعبة، دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٩٧٦، د.ط.
- الخضري: محمد الخضري بك، نور اليقين من سيرة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، تحقيق: مدي زمزم، دار الإيمان، ١٩٨٨.
- الخلف: أحمد عبد العزيز، منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله تعالى، مكتبة أضواء السلف، السعودية، ط١، ١٩٩٨.
- الخولي، البهي تذكرة الدعاة، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٦، ١٩٧٩.
- الدجاني: زاهية، أحسن القصص بين اعجاز القرآن وتحريف التوراة، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٣.
- الرازي: محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٥.
- الزبيدي، السيد أحمد مرتظى، تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، د. ط. ١٩٦٦.
- الزحيلي: وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت– لبنان، د.ط، د. ت.
- الزمخشري: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، د. ط. ١٩٧٧.
- زيدان: عبد الكريم، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٠.
- زيدان: عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٦.

- الزين: سميح عاطف، **الأمثال والمثيل والتمثيل في القرآن الكريم**، الشركة العالمة للكتاب، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٧.
- الزين: محمد بسام رشدي، **مدرسة الأنبياء عبر وأضواء**، دار الفكر المعاصر، بيروت– لبنان، ودار القفكر، دمشق– سورية، ط١، ٢٠٠٠.
- السامرائي: عبد الله سلوم، **الله جل جلاله والإنسان**، جامعة بغداد، ١٩٨٣.
- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، **قصص الأنبياء**، تعليق أبو محمد أشرف عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض– السعودية، ط١، ١٩٩٥.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق وتعليق د. محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت – ط١، ١٩٩٣.
- الشريف: عبد السلام بن نصر الله، **سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم**، دار المعرج الدولي للنشر، الرياض– السعودية، ط١، ١٩٩٤.
- الشعراوي: محمد متولي، سورة الكهف، **دار أخبار اليوم قطاع الثقافة**، ط٢، ١٩٩٧.
- شلبي: محمود، **حياة إبراهيم**، دار الجيل، بيروت– لبنان، ط٤، ١٩٨٢.
- الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن الكريم**، عالم الكتب، بيروت–لبنان، د. ط. د. ت.
- الشنقيطي، محمد بن أحمد إدريس، **الواعظ الحديث بالآية والحديث**، تقويم سعود الشريم، دار الفكر، دمشق– سوريا، د. ط، ١٩٩٦.
- الصابوني: محمد علي، **النبوة والأنبياء**، مؤسس مناهل العرفان، بيروت–لبنان، مكتبة الغزالي، دمشق، ط١، ١٩٨٥.
- الصابوني: محمد علي، **صفوة التفاسير**، دار القرآن الكريم، بيروت، د. ط. ١٩٨٧.

- الصالح: محمد بن لطفي، خواطر في الدعوة إلى الله، الكتب الإسلامية، بيروت- دمشق، ط١، ١٩٩٠.
- طاهر: نفيسة بنت محمد، الطغيان في سورة القصص، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، ١٩٩٩.
- طبارة: عفيف عبد الفتاح، تفسير جزء تبارك، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٤.
- طبارة: عفيف عبد الفتاح، مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط١٧، ١٩٨٩.
- الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق: بشار معروف وعصام الخرستاني.
- الطنطاوي: محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢.
- الطنطاوي: محمد سيد، القصة في القرآن الكريم، دار المعارف، ط١، ١٩٩٥.
- طه: تيسير، أساليب تدريس التربية الإسلامية، وجمال الأشقر، ومحمد المصري، ومحمود حمودة، ونبيل محفوظ، وفاء سواخطة، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط١، ١٩٩٢.
- طهطاوي: سيد أحمد، القيم التربوية في القصص القرآني، دار الفكر العربي، مصر، ط١، ١٩٩٦.
- طهماز: سيد أحمد، العواصم من الفتن في سورة الكهف، دار المنارة والقلم، بيروت - دمشق، ط١، ١٩٨٧.
- طهماز: عبد الحميد محمود، من موضوعات القرآن الكريم عاقبة الطغيان والفساد من سورة القصص، دار القلم، دمشق، والدار الشامية- بيروت، ط١،١٩٨٧.

- عباس: فضل حسن، القصص القرآن إيحاءه ونفحاته، دار الفرقان، عمان الأردن، ط١، ١٩٨٧.
- العبد الله: رياض، الجن والشياطين بين العلم والدين، منشورات دار الحكمة والسنة، بيروت، ١٩٨٦.
- عبد الجبار: شاكر: حقيقة الشيطان بالمنظور القرآني، بغداد، ط٤، ١٩٨٨.
- عدس: محمد عبد الرحيم، من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم، مكتبة المنار، الأردن- الزرقاء، ط١، ١٩٨٥.
- العفاني: سيد حسن، الجزاء من جنس العمل، تقيم أبو بكر الجزائري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦.
- العمري: أحمد جمال، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآن، مكتبة الخانجي، القاهرة. د. ط. د. ت.
- عمر: عمر أحمد، رسالة الأنبياء، دار الحكمة، دمشق- سوريا، ط١، ١٩٧٩.
- عوض: محمد عبد الرحمن السيد، الفرعونية كما صورها القرآن الكريم، د. ط. ١٩٨٦.
- فضل الله: محمد حسين، الحوار في القرآن الكريم قواعده وأساليبه ومعطياته، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٩٨٥.
- الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان. د. ط. د. ت.
- الفيومي: أحمد بن محمد المقري، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، د. ط، ١٩٨٧.
- القاسمي: محمد جمال الدين، محاسن التأويل، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٤.

- القحطاني: سعيد بن علي، **الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى**، د. ن. د. ط. ١٩٩٢.
- القذافي: رمضان محمد، **الشخصية نظرياتها واختباراتها وأساليب قياسها**، منشورات الجامعة المفتوحة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، د. ط. ١٩٩٣.
- القرضاوي: يوسف، **في أصول الدعوة**، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٩.
- القرطبي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٩٩٤.
- قطب: سيد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، ط٢٤، ١٩٩٤.
- الكفوي: أبو البقاء أيوب الحسيني، **الكليات**، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق- سوريا، د. ط، ١٩٨٣.
- الكواكبي: عبد الرحمن، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩١.
- اللجمي: أديب، والبشير بن سلامة، وشحادة الخوري، وعبد اللطيف عبيد، ونبيلة الرزاز،عالم المعرفة، **معجم اللغة العربية**، تقديم، محي الدين صابر، ط١، ١٩٩٥، بيروت.
- النحلاوي: عبد الرحمن، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، دار الفكر، دمشق- سوريا، د. ط، ١٩٩٩.
- المراغي: أحمد مصطفى، **تفسير المراغي**، د. ت، ط٣، ١٩٧٤.
- مسلم: أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المسند **الصحيح المختصر والسنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**: تحقيق نزار وهيثم نزار- كتم، دار الأرقم،ط١، ١٩٩٩.
- المودودي: أبو الأعلى، **فرعون في القرآن**، المختار الإسلامي للنشر والتوزيع، د. ط. د. ت.

- المورعي: الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء القرآن والسنة، دار الأندلس الخضراء، جده- السعودية، ط١، ١٩٩٧.
- الميداني: عبد الرحمن حسن حبنكة، فقه الدعوة إلى الله، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٦.
- النجار: عبد الوهاب، قصص الأنبياء، دار الهجرة، الأردن-اربد، د. ط. ١٩٩٥.
- ندا: محمد محمود، من القصص الحق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د، ط، ١٩٩٤.
- النووي: يحي بن شرف بن زكريا، رياض الصالحين في سيرة سيد المرسلين، بيروت-لبنان، د. ط. ١٩٧٣، دار الكتاب العربي.
- المرصفي: سعد، الكعبة مركز العالم، مؤسسة الريان، ط٢، ٢٠٠٠.
- المودودي: أبو الأعلى، فرعون في القرآن، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، د. ط.
- الهاشمي: عبد الحميد، الرسول العربي المربي، دار الثقافة للمجمع، سوريا-دمشق، ط١، ١٩٨١.
- الوكيل: محمد السيد، نظرات في أحسن القصص، دار القلم، والدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٩٤..

ABSTRACT

Educational Admonitions of Tyrant Narratives in the Holy Koran

By

Samaher Awad Mohammad Al-Thnebat

Master Thesis, Yarmouk University, 2003

Supervisosr:

Dr. Mohammad Amin Hassan Bani Amer ..... A Canonical Supervisor

Dr. Majed Zakey Al-Jallad .....Educational Supervisor

Prof. Dr. Mohammad Hejazi ..... Supervision Committee Member

The purpose of the present study was to reveal out what meaning has the concept of "tyrants", identifying their figures, and positions assumed against message of prophets –Upon them be peace- additionally, to find out those educational hints, lessons and admonitions could be concluded from a Tyrant Narrative. In order to achieve such goals the researcher had presented answers to the following questions:

- What meaning did "Tyrant" has as a concept both canonically and technically?
- What position did a tyrant assumed against message of Prophets -Upon them be peace?
- What attitude did the Holy Koran has toward a tyrant?
- What educational admonitions could be learned from a tyrant narrative in the Holy Koran?

A qualitative analytical method was adopted to realize the earlier goals, namely, most relevant verses to a tyrant narrative were collected, classified under suitable rubrics with enriching and supporting verses that would make it more valuable scientifically, and then making an educational analysis by extrapolating educational denotations, lessons and admonitions that could be learned.

The current study revealed the following findings:

First: Tyrant as a concept mentioned in the Holy Koran and Prophetic Sunna most frequently, whereas in Islamic educational literature did not appear literally, instead other synonyms were most often cited like

oppression and autocracy .., and by studying exegesis works inductively, it became clear that "tyrant" as a concept meant that one to practice haughtiness over creatures of God, glorification, and not to be humiliated to a decree of God. Likewise, it might mean subjection, disobedience, to hit and murder someone violently.

Second: Figures represented a tyrant in the Holy Koran were widely variant and numerous, each of which has assumed one form of haughtiness. Some, for example, had practiced haughtiness because of possession, office, and position, others because of properties, richness, while some others did so because of cognition.

Third: Haughtiness has variety of methods and means followed by a tyrant to perform his own intentions in combating message of prophets-upon them be peace.

Fourth: Prophets -upon them be peace- had followed many corrective and protective ways to plea against a tyrant such as wisdom, good sermons, arguing gently and narratives .. etc.

Fifth: A tyrant narrative has in the Holy Koran learnable educational denotations, lessons, and admonitions to be positively adopted by the community.

Depending on earlier findings, the researcher recommended that:

- Each one figure of tyrants should be studied elaborately in order to make it more clarified.
- A further comparative study makes contracts between past tyrants who had been living in times of Prophets –upon them be peace- and tyrants living in present days should be conducted.
- Culturing stronger heralds who take up Islamic missionary activities, instigating them to confront effectively methods employed by a tyrant and oppressor, encouraging heralds to resist their manipulations by religious corrective educational means is essential.

Key words: narratives, tyrants